المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر في القعدة سنة ١٣٢٥ — آخره السبت ٤ يناير (ك ٢) سنة ١٩٠٨)

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الأزهر الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(١١٠ : ١٠٦) كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، ولو آمن أهل الكتب لكان خيراً لهم ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفسقون (١١١ : ١٠٧) لن يضروكم إلا أذى وإن يقتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون (١١٢ : ١٠٨) ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباو (*) بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيت الله ويقتلون الانبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون •

(*) هكذا رسمت « وباو » في المصحف الامام بدون ألف بعد الواو

بعد ما أمر الله تعالى بالاعتصام بحبله وذكر بنعمته على المؤمنين بتأليف القلوب وأخوة الاسلام — وبعد مانهى عن التفرق في الاهواء والاختلاف في الدين وتوعد على ذلك بالعذاب العظيم — بين فضل المعتصمين بحبله ، المتآخين في دينه ، المتحابين فيه ، ووصفهم بهذا الوصف الشريف ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ فعلم منه أن خيرية الامة وفضلها على غيرها تكون بهذه الامور : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله تعالى · وروي عن عمر انه سماها شروطا

في قوله تعالى « كنتم » ثلاثة أوجه (أحدها) أنها تامة فالمعنى وجدتم خير أمة كأنه قال أنتم خير أمة في الوجود الآن لأن جميع الأمم غلب عليها الفساد فلا يعرف فيها المعروف ولا ينكر فيها المنكر وليست على الايمان الصحيح الذي يزع أهله عن الشر و يصرفهم الى الخير وأنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ايمانا صحيحا يظهر أثره في العمل · (والوجه الثاني) أنها ناقصة والمعنى حينئذ كنتم في علم الله أو كنتم في الأمم السابقة كما في كتبها المبشرة بكم خير أمة الخ وقال أبو مسلم ان هذا القول يقال لمن ابيضت وجوههم والمعنى كنتم فيما سبق من أيام حياتكم خير أمة شأنكم كذا وكذا و بذلك كان لكم هذا الجزاء الحسن فالكلام عنده تتمة للآيات السابقة فكما ذكر فيها ما يقال لمن اسودت وجوههم ذكر ايضاً مايقال لمن ابيضت وجوههم · وقيل على هذا — أي كونها ناقصة — غير ذلك (الوجه الثالث) ان كان هنا بمعنى صار أي صرتم خير أمة وهذا أضعف الاقوال

اذا فسرت كلمة « كنتم » بغير ماقاله أبو مسلم كانت الجملة شهادة من الله تعالى للنبي (ص) ومن اتبعه من المؤمنين الصادقين الى زمن نزولها بأنها خير أمة أخرجت للناس بتلك المزايا الثلاث · ومن اتبعهم فيها كان له حكمهم لامحالة ولكن هذه الخيرية لايستحقها من ليس لهم من الاسلام واتباع النبي عليه الصلاة والسلام الا الدعوى وجعل الدين جنسية لهم بل لايستحقها من اقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت الحرام والتزم الحلال واجتنب الحرام مع الاخلاص

الذي هو روح الاسلام الا بعد القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاعتصام بحبل الله مع اتقاء التفرق والخلاف في الدين

قال الاستاذ الامام مامعناه : هذا الوصف يصدق على الذين خوطبوا به أولا وهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين كانوا معه (عليهم الرضوان) فهم الذين كانوا أعداء فألف الله بين قلوبهم فكانوا بنعمته اخوانا وهم الذين اعتصموا بحبل الله ولم يتفرقوا في الدين فيذهبوا فيه مذاهب تتعصب لكل مذهب شيعة منهم ، وهم الذين كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لايخاف في ذلك ضعيف قويا ، ولا يهاب صغير كبيرا ، وهم المؤمنون بالله ذلك الايمان الذي استولى على عقولهم وقلوبهم ومشاعرهم وملك أزمة أهوائهم حتى كان هو المدبر لهم في عامة أحوالهم ــ ذلك الايمان الذي بين سبحانه خواصه وصفاته في آيات كثيرة وظهرت فوائده وآثاره في تغيير هيأة الارض على أيديهم ــ ذلك الايمان الذي قال تعالى في أهله (٤٩ : ١٥ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) وقال فيهم (٨ : ٢ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) الى قوله (٤ أولئك هم المؤمنون حقا) وقال فيهم (٢٣ : ١ قد أفلح المؤمنون ٢ الذين هم في صلاتهم خاشعون) الخ الآيات التي تحقق معناها ومعنى أمثالها في أولئك الاصحاب الذين كانوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام

أقول هذا معنى ماقاله الاستاذ الامام في الجملة الآن كلمة «وأصحابه الذين كانوا معه» هي من لفظه يريد أن هذه الصفات العالية والمزايا الكاملة لذلك الايمان الكامل لم تكن لكل من يطلق عليه المحدثون اسم الصحابي كالأعرابي الذي يسلم ويرى النبي (ص) ولو مرة واحدة . وكأنه أخذ ذلك من قوله تعالى (٤٨ : ٢٩ محمد رسول الله والذين معه) فهم الذين تصدق عليهم تلك الصفات الجليلة وأفضلها وأعلاها الجهاد والهجرة الى المدينة بالنسبة الى غير أهلها والايواء والنصر من أهلها . لذلك قال تعالى في آخر سورة الانفال (٨ : ٧٤ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم ٧٥ والذين

آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) ولم يهاجر مع النبي (ص) منافق لأن الهجرة كانت في زمن الضعف وإنما يكون النفاق في زمن القوة . ومنافقو المدينة لم ينصروه (ص) وإنما كانوا يخذلون ويثبطون الصادقين من المؤمنين ويغرون الأعداء بهم قال تعالى فيهم (٩: ٤٧ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين ٤٨ لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون) وروي عن ابن عباس ان المراد بالآية المهاجرون الأولون . وعن عمر أنها في خاصة الصحابة ومن صنع مثل صنيعهم

فان قيل ان بعض أولئك الصحابة الصادقين من المهاجرين والأنصار قد تفرقوا واختلفوا في الفتنة التي أثارها معاوية على علي أمير المؤمنين فهل خرجت الأمة بذلك عن كونها خير أمة أخرجت الناس ؟ فالجواب من ثلاثة وجوه

(أحدها) أن ذلك الخلاف والتفرق لم يكن في الدين وإنما كان في أمر دنيوي لم يتغير به اعتقاد أحد الفريقين ولم يحدث به مذهب جديد في الاسلام فالدين نفسه لم يطرأ عليه شيء من ذلك الخلاف

(ثانيا) ان معاوية الذي أثار ذلك التفرق لم يكن من المهاجرين الأولين فانه أسلم عام فتح مكة الذي انقطعت به الهجرة أو أظهر إسلامه في ذلك العام كما قال الواقدي انه أسلم عام الحديبية وانه كان في عمرة القضاء مسلما . قال الحافظ في الإصابة بعد نقل قول الواقدي : وهذا يعارضه ما ثبت في الصحيح عن سعد بن أبي وقاص انه قال في العمرة في أشهر الحج « فعلناها وهذا يومئذ كافر » : يعني معاوية . وسواء صح قول الواقدي أم لا فمعاوية لم يهاجر ونقل ابن سعد عنه انه كان يقول : لقد أسلمت قبل عمرة القضاء ولكني كنت أخاف أن أخرج الى المدينة لأن أمي كانت تقول ان خرجت قطعنا عنك القوت : وما كان مع معاوية من المهاجرين الأولين الا قليل اعتقدوا أنه يطالب بحق لا يلبث ان يناله — وهو القصاص من قاتلي عثمان — ثم يدخل فيما دخل فيه الناس من مبايعة علي

(ثالثها) قد عرف المطلعون على التاريخ ان الصحابة لم يفرطوا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما وجدوا وإنما ضعف ذلك بعد انقراض أكثرهم

وهذان الركنان هما بعد الايمان أعظم أركان خيرية الأمة فما عرض من التفرق الدنيوي والخلاف بعد قتل عثمان لم يلبث أن زال بعد قتل علي . لان التفرق والخلاف لا يدوم في أمة تقيم هذين الركنين ولو بغير نظام ولو كان لهما نظام في الصدر الاول لما وقع كل ذلك الذي وقع . ألم يهدك كيف كان الناس يتلطفون لمعاوية في إنكار ما ينكرونه عليه حتى غير الصحابة منهم؟

الحق أقول ان هذه الأمة ما فاتت خير أمة أخرجت للناس حتى تركت الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وما تركتهما رغبة عنهما أو تهاونا بأمر الله تعالى باقامتهما ، بل مكرهة باستبداد الملوك والامراء من بني أمية ومن سار على طريقهم ممن بعدهم وقد كان أول أمير منهم أظهر هذه الفتنة جهراً عبد الملك بن مروان اذ قال على المنبر « من قال لي اتق الله ضربت عنقه » فقد كانت شجرة بني مروان الخبيثة التي سنت في هذه الامة سنة الاستبداد فمازال يعظم ويتفاقم حتى سلب الامة أفضل مزاياها في دينها ودنياها بعد الايمان

وقد بين الفخر الرازي في تفسيره وجه ما قدم من ذكر وصف الامة هنا بالامر والنهي والايمان علة لكونها خير أمة أخرجت للناس فقال

« واعلم ان هذا الكلام مستأنف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم . وتحقيق الكلام انه ثبت في أصول الفقه ان ذكر الحكم مقروناً بالوصف المناسب له يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف ، فههنا حكم تعالى بثبوت وصف الخيرية لهذه الامة ثم ذكر عقيبه هذا الحكم وهذه الطاعات أعني الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان فوجب كون تلك الخيرية معللة بهذه العبادات » ثم أورد سؤالاً وذكر الجواب عنه فقال

« من أي وجه يقتضي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله كون هذه الامة خير الامم مع ان هذه الصفات كانت حاصلة في سائر الامم ؟ والجواب قال القفال تفضيلهم على الامم الذين كانوا قبلهم إنما حصل لأجل أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بآكد الوجوه وهو القتال لأن الامر بالمعروف قد يكون بالقلب

وباللسان وباليد وأقواها مايكون بالقتال لأنه إلقاء النفس في خطر القتل ، وأعرف المعروفات الدين الحق والايمان بالتوحيد والنبوة وأنكر المنكرات الكفر بالله فكان الجهاد في الدين محلا لاعظم المضار لغرض إيصال الغير الى أعظم المنافع وتخليصه من أعظم المضار فوجب ان يكون الجهاد أعظم العبادات . ولما كان أمر الجهاد في شرعنا أقوى منه في سائر الشرائع لاجرم صار ذلك موجبا لفضل هذه الامة على سائر الامم . وهذا معنى ماروي عن ابن عباس انه قال في تفسير هذه الآية: قوله « كنتم خير أمة للناس » تأمرونهم ان يشهدوا ان لا إله الا الله ويقروا بما أنزل الله وتقاتلونهم عليه ، ولا إله الا الله أعظم المعروف والتكذيب هو أنكر المنكر، ثم قال القفال (فائدة) القتال على الدين لاينكره منصف وذلك لأن أكثر الناس يحبون أديانهم بسبب الالف والعادة ولا يتأملون في الدلائل التي تورد عليهم فاذا أكره المرء على الدخول في الدين بالتخويف بالقتال دخل فيه ثم لايزال يضعف ما في قلبه من حب الدين الباطل ولايزال يقوى في قلبه حب الدين الحق الى ان ينتقل من الباطل الى الحق ومن استحقاق العذاب الدائم الى استحقاق الثواب الدائم » اه ما أورده الرازي عن القفال وأقره

أقول ان هذا القول باطل مبني على قواعد غير ثابتة (منها) توهم القفال والرازي ان الامم السابقة لم يكن عندها جهاد ديني قوي ولا إكراه على الدين وذلك لقلة اطلاعهما على الاديان والتاريخ والصواب ان أهل الكتاب كانوا أشد من المسلمين في حروبهم الدينية وورد عنهم في الاكراه على الدين مالم يرد مثله من المسلمين

(ومنها) أن الاكراه على الدين مناف من الاسلام بنص القرآن ولم يحارب النبي صلى الله عليه وسلم أحدا من العرب ولا من غيرهم لأجل الاكراه على الاسلام وانما حارب دفاعا ، وكيف يحاول الاكراه والله تعالى يقول له (١٠: ٩٩ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ومن أراد التفصيل في ذلك فليرجع الى تفسير آيات القتال في البقرة وآية (٢: ٢٥٦ لا إكراه في الدين)

(ومنها) ان هذا القول يجعل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عبارة عن الدعوة الى الاسلام والالزام بها والآية السابقة « ولتكن أمة يدعون الى الخير ويأمرون

بالمعروف و ينهون عن المنكر » تقتضي ان يكون الامر والنهي غير تلك الدعوة وغير الالزام بها وهو عمل لا ارشاد وتعليم (ومنها) ان فريضتي الامر والنهي غير فريضة تغيير المنكر التي ورد في الحديث وقد تقدم بيان ذلك (ومنها) ان هذا القول مخالف لقوله تعالى في سورة الحج في وصف المؤمنين بعد الاذن لهم بقتال المعتدين عليهم (٢٢: ٤١ الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) فجعل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوصافهم بعد التمكن في الارض وذلك لا يكون بالجهاد بل بعده .

فيا للعجب من هؤلاء العلماء يأخذون المسألة التقليدية قضية مسلمة ثم يحكمونها في كتاب الله تعالى ويجعلونها قاعدة لتفسيره وان كانت مخالفة لآياته الصريحة ثم هم يأتون بما يدل على ان أعظم ما يمتاز به الاسلام هو اتباع الدليل ونزع قلائد التقليد وهم مصرون على تقلد هذه القلائد ؟ ثم تأمل ما قاله القفال في فائدته وانه لا يعني بأكثر الناس الذين يحبون أديانهم بحسب الالف والعادة الا غير المسلمين يعني ان المسلمين وحدهم هم الذين يتمسكون بالدلائل فلا يقبلون في دينهم شيئاً بغير دليل وبينة [illegible] على ماهم عليه ليكون مثلهم في الخيرية . وأين المسلمون من هذه المزية اليوم وفي زمن القفال أيضا ؟؟

ثم ان السؤال الذي أورده الرازي وارتضى في جوابه ما قاله القفال مبني على أن قوله تعالى « خير أمة أخرجت للناس » معناه خير أمة ظهرت لهم منذ وجدوا وهو أحد الاقوال التي أوردها في معنى العبارة : قال : والثاني ان قوله للناس من تمام قوله كنتم والتقدير كنتم للناس خير أمة . ومنهم من قال « أخرجت » صلة والتقدير كنتم خير أمة للناس : اه وهذا الاخير أضعف الاقوال

والاستاذ الامام لم يتعرض لهذا السؤال والظاهر عندي ان تعليل الخيرية بما ذكرها ليس لانه كل السبب في كون هذه الامة خير أمة أخرجت للناس بل لان ما كانت به خير أمة لا يحفظ ولا يدوم الا باقامة هذه الاصول الثلاثة ولذلك اشترط على هذه الامة ان يكون من غرضها في الدفاع عن نفسها وعن وجودها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كأنها لولا ذلك لا تكون مستحقة للبقاء

في الارض وأكد الامر بهذه الفريضة في آيات هذه السورة بما لم يعرف له نظير في كتاب من الكتب السابقة ، ولم تقم به أمة من الامم على هذا الوجه، فقول الرازي «ان هذه الصفات الثلاث كانت حاصلة في سائر الامم» غير صحيح على اطلاقه

وقد أورد الرازي هنا سؤالا آخر وأجاب عنه فقال «لم قدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان بالله لابد ان يكون مقدما على كل الطاعات» والجواب ان الايمان بالله أمر مشترك فيه بين جميع الامم المحقة ثم انه تعالى فضل هذه الامة على سائر الامم المحقة فيمتنع ان يكون المؤثر في حصول هذه الخيرية هو الايمان الذي هو القدر المشترك بين الكل بل المؤثر في حصول هذه الزيادة هو كون هذه الامة أقوى حالا في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من سائر الامم ، فاذن المؤثر في حصول هذه الخيرية هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأما الايمان بالله فهو شرط لتأثير هذا المؤثر في هذا الحكم لأنه مالم يوجد الايمان لم يصر شيء من الطاعات مؤثراً في صفة الخيرية . فثبت ان الموجب لهذه الخيرية هو كونهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر وأما ايمانهم فذاك شرط التأثير . والمؤثر ألصق بالأثر من شرط التأثير فلهذا السبب قدم الله تعالى ذكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الايمان» اه بما فيه من تكرار

وقال الاستاذ الامام أما تقديم ذكر الامر والنهي على الايمان فالحكمة فيه أن هذه الصفة (الامر والنهي) محمودة في عرف جميع الناس مؤمنهم وكافرهم و يعترفون لصاحبها بالفضل ولما كان الكلام في خيرية هذه الامة على جميع الأمم مؤمنهم وكافرهم قدم الوصف المتفق على حسنه عند المؤمنين والكافرين . وهناك حكمة أخرى وهي ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سياج الايمان وحفاظه (كما تقدم بيانه) فكان تقديمه في الذكر موافقا للمعهود عند الناس في جعل سياج كل شيء مقدما عليه

أقول كل ذلك حسن والمتبادر عندي ان تقديم الامر والنهي للتعريض بأهل الكتاب الذين كانوا يدعون الايمان ولا يقدرون على ادعاء القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه وادعاء ماتكذبه المشاهدة يفضح صاحبه ، فقدم ذكر الأمر والنهي لأنهم لا مجال لهم

في دعوى مشاركة المؤمنين فيه وأخر ذكر الايمان الذي يدعونه ليرتب عليه بيان أنه ايمان غير صحيح لانه لم يأت بثمر الايمان الصحيح ولذلك قال

﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم ﴾ أي لو آمنوا الايمان الصحيح الذي يستولي على النفوس ويملك أزمة الاهواء فيكون مصدرا لأحاسن الاعمال كما تؤمنون أنتم لكان خيرا لهم مما يدعون من الايمان التقليدي الذي لايزع عن الشرور، ولا يرفع صاحبه الى معالي الامور، وبهذا التفسير يندفع سؤال ثالث الرازي وهو لم اكتفى بذكر الايمان بالله ولم يذكر الايمان بالنبوة ؟ فاذا كان الكلام تعريضا بأن القوم لايؤمنون بالله ايمانا صحيحا فأي حاجة الى ذكر الايمان بغيره، على أنه لو ذكر غير ذلك لكان المناسب ان يذكر الايمان برسوله وهو محل خلاف بين الفريقين أو الايمان بالرسل كافة وأهل الكتاب اشتهروا بذلك وجواب الرازي تكلف ظاهر . ثم صرح بعد التعريض بأنهم لو آمنوا لكان خيرا لهم ولم يقل لو آمنوا بالله بل أطلق ليدل على ان ايمانهم بكل مايؤمنون به غير صحيح لأنه لم يأت بثمرات الايمان الصحيح كما قلنا آنفا

وجعل الاستاذ الامام هذه الجملة متعلقة بمجموع الكلام السابق فقال انه بعد مانهانا سبحانه عن التفرق والاختلاف كما تفرق أهل الكتاب واختلفوا بعد ماجاءهم البينات وأمرنا بالدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذكر أننا خير أمة أخرجت للناس بهذا و بالايمان الحقيقي الذي يقترن بالاذعان النفسي والاتباع العملي - ناسب ان يذكر ان أهل الكتاب المختلفين ليسوا مؤمنين هذا الايمان الخاص الذي يحبه الله تعالى و يرضاه وهو الذي يكون الامر بالمعروف ثمرة من ثمارهِ والنهي عن المنكر أثرا من آثاره ، فعلمنا أن المراد بهذا الايمان شيء أخص من الايمان العرفي الذي يدعيه كل أحد له دين وكتاب بل هو ماعرفناه آنفا وقبل ذلك . والكلام يشعر بأنه لايوجد فيهم مؤمن هذا الايمان الاذعاني الذي يصحبه الاخلاص والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع أنه لايمكن ان تعرى منه أمة لها دين سماوي والواقع أنه كان في أهل الكتاب مؤمنون

مخلصون ولذلك قال تعالى (منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) فعلم ان الحكم الأول على الامة إنما هو حكم على أكثر أفرادها فهم الذين فسقوا عن حقيقة الدين ولم يبق عندهم منه الا بعض الرسوم والتقاليد الظاهرة. فالكلام على هذا استئناف بياني لا استطراد كما قيل

هذا ما يؤخذ من كلام الاستاذ الامام. وجمهور المفسرين على ان المعنى ولو آمن أهل الكتاب بما آمنتم به كما آمنتم لكان خيرا لهم في الدنيا والاخرة ولكن آمن بعضهم فمنهم المؤمنون كعبد الله بن سلام ورهطه من اليهود والنجاشي ورهطه من النصارى وأكثرهم فاسقون عن دينهم اي خارجون منه اوفاسقون في دينهم غير عدول فيه فلا حصلوا الاسلام وهو آ كل الاديان ولا تمسكوا بما عندهم ،او أكثرهم متمردون في الكفر، هكذا اختلف تفسيرهم فيؤخذ منه أنه لم يكن في أهل الكتاب أحد متمسك بدينه مخلصا فيه عاملا بأوامره ونواهيه ،وهذا غير معقول ولا موافق لما عرف من طبيعة البشر من ميل اناس منهم الى الغلو في الدين واعتدال أناس آخرين وميل غير هؤلاء واولئك الى الفسوق والعصيان. فما من أهل دين الا وفيهم الفرق الثلاثة وانما يكثر الاستمساك بالدين في أوائل ظهوره ويكثر الفسق بعد طول الامد عليه. قال تعالى (٥٧: ١٦ ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) فما عدا هذا الكثير هم المستمسكون بدينهم. والقرآن لم يحكم على أمة بالضلال والفسق بنص عام يستغرق جميع الافراد بل يعبر تارة بالكثير وتارة بالاكثر واذا أطلق أداة العموم يستثني بمثل قوله في بني اسرائيل (٢: ٨٣ ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون) وقوله فيهم (فلا يؤمنون الا قليلا) أو يحكم على البعض ابتداء كما تقدم في قوله (٣: ٧٥ ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) الآية وقال تعالى فيهم (٧: ١٥٩ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وقال فيهم وفي النصارى (٥: ٦٦ منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون) وسيأتي تفسيرها فقد أثبت لبعضهم

الايمان والاقتصاد أي الاعتدال في الدين والهداية بالحق والعدل . وقال (١٦٢:٤ لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) فجعل أهل العلم الذين يفهمون الدلائل والبراهين وأهل الايمان المخلصين الذين يتحرون الحق هم الذين يقبلون دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لقوة استعدادهم ولكن المفسر المتشبع بأحوال أمته الذى لم يختبر غيرها ولم يكن عارفا بطبائع الملل وحقائق الاجتماع البشري لا يكاد يتصور أن الايمان والاخلاص والتقوى توجد عند غير أهل ملته فهو يطبق الآيات على اختياره واعتقاده . وقد تذكرت الآن ما قالته تلك المرأة الافرنجية للاستاذ الامام في مدينة جنيف عاصمة سويسرا وكانت امرأة عاملة تقية راقبت سير الاستاذ الامام في مصيفه هناك لقرابة زيه ودينه ثم قالت له بعد ذلك : انني لم أكن أظن ولا يخطر في بالي قبل معرفتك ان القداسة والتقوى توجد في غير المسيحية :

وجملة القول ان القرآن يبين حقائق ما عليه الأمم في عقائدها وأخلاقها وأعمالها يزن ذلك بالقسطاس المستقيم والدقة التي نراها في [illegible] لم نعهدها في كتاب عالم ولا مؤرخ . فاذا نحن جمعنا ما حكم به على أهل الكتاب وغيرهم وعرضناه على علمائهم وفلاسفتهم ومؤرخيهم فانهم يذعنون بأنه لباب الحقيقة بل هم يصرحون بأنه لولا غلبة الضلال والفسق والكفر عليهم في عصر ظهور الاسلام لما انتشر ذلك الانتشار السريع . ولكن وجد فينا من طمس هذه المزية وجعلوا كل ما ينكره القرآن من فساد الأمم من قبيل هجو غير المسلمين ، وكل ما يحمده هو خاص بالمسلمين ، حتى كأنه شعر لا يقصد منه الا مدح أناس وذم آخرين ، وبهذا ينفرون غير المسلمين من الاسلام ويحولون بين المسلمين وبين العبرة والاتعاظ وفهم الحقائق . ولهذا البحث بقية تأتي في تفسير «ليسوا سواء» الخ . واستدل بعض المفسرين بالآية على حجية الاجماع المعروف في الاصول فحملها ما لا تحمل

ثم قال تعالى في أولئك الفاسقين من أهل الكتاب ﴿ لن يضروكم الا أذى ﴾ أي انهم لا يقدرون على ايقاع الضرر بكم ولكن يؤذونكم بنحو الكلام القبيح كالخوض في النبي (ص) أو الا ضرراً خفيفاً ليس له كبير تأثير ﴿ وان يقاتلوكم

يولوكم الادبار) تولية الأدبار كناية عن الانهزام لأن المنهزم يحول ظهره الى جهة مقاتله ويستدبره في هربه منه فيكون دبره أي قفاه الى جهة وجه من انهزم هو منه . (ثم لا ينصرون) عليكم بعد ذلك أو ثم إنهم لا ينصرون عليكم قط ما داموا على فسقهم ودمتم على خيريتكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . وعلى هذا تكون الجملة إخبارية مستقلة لا تدخل في جواب الشرط ولذلك وردت بنون الرفع . وفي الآية ثلاث بشارات من الاخبار بالغيب وكلها تحققت وصدق الله وعده .

وقد أورد الرازي على الوعد بأنهم لا ينصرون انه يصدق في اليهود دون النصارى أي ان اليهود هم الذين لم ينصروا على المسلمين بعدما كان من انكسارهم في الحجاز وأما النصارى فقد كانت الحرب بينهم وبين المسلمين بعد الصدر الأول سجالا ثم صاروا هم المنصورين . وأجاب الرازي عن ذلك بأن الآية خاصة باليهود ثم وما قلناه يصلح جوابا مطلقا وهو مقيد بما في نصر المؤمنين بنصرهم اياه (٤٧ : ٧ يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وبالقيام بما أمر به ومنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما ورد في سورة الحج وذكرناه في تفسير الآية السابقة، ومثله وصف المؤمنين المجاهدين في سورة التوبة بقوله (٩ : ١١٢ الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله) وقد شرحنا هذا المعنى غير مرة وسنفصله — ان شاء الله — في مقدمة التفسير تفصيلا

ثم قال جل شأنه (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس) ثقفوا وجدوا والذلة بكسر الذال ضرب مخصوص من الذل لانها من الصيغ التي تدل على الهيأة قيل المراد بها هنا الجزية وقيل ما يحدثه في النفس فقد السلطة وهذا هو الصحيح . وقد فرق الراغب بين الذل بضم الذال والذل بكسرها فقال في الأول انه ما كان عن قهر وفي الثاني ما كان بعد تصعب وشماس ومنه تذليل الدواب . وضرب الذلة عليهم أي اليهود عبارة عن إلصاقها بهم وظهور أثرها فيهم كما يكون من ضرب السكة بما ينقش فيها أو عن إحاطتها بهم كإحاطة القبة المضروبة بمن فيها وتقدم بيان ذلك كله للاستاذ الامام في تفسير (٢ : ٦١ وا

قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد) الآية فليراجع فان ماهنا لا يغني عنه .
والحبل يطلق على العهد لأن الناس يرتبطون بالعهود كما يقع الارتباط الحسي بالحبال
وذلك قول أبي الهيثم للنبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه الأنصار في العقبة : أيها
الرجل انا قاطعون فيك حبالا بيننا وبين الناس : ويسمى السبب في اللغة حبلا
والحبل سبباً . قيل ان المعنى الا بعهد أو سبب يأمنون به في بلاد الاسلام كما قال
ابن جرير وقيل السبب من الله الاسلام والسبب من الناس العهد أو التأمين .
واختار الرازي ان الحبل من الله هو الجزية أي الذمة التي تحصل بقبولهم دفع
الجزية والحبل من الناس هو ما فوض الى رأي الامام فيزيد فيه تارة وينقص
بحسب الاجتهاد . وقال الاستاذ الامام أي ان حالهم معكم ان يكونوا أذلاء
مهضومي الحقوق وهم أتوقيهم الا بحبل من الله وهو ما قررته شريعته لهم اذا دخلوا
في حكمكم من المساواة في الحقوق والقضاء وتحريم ايذائهم وهضم شيء من
حقوقهم ، وحبل من الناس وهو ما تقتضيه المشاركة في المعيشة من احتياجكم اليهم
واحتياجهم اليكم في بعض الامور [illegible] عزوم الذلة لم يأتهم
من أنفسهم وانما جاءهم من غيرهم فهم لا عزة لهم في أنفسهم لان السلطان والملك
قد فقدا منهم

وأنت ترى أن هذا الذي قاله الاستاذ الامام أظهر وأشد انطباقا على الواقع
فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحسن معاملتهم ويقترض منهم وكذلك كان
الخلفاء الراشدون يفعلون وقضية علي مع اليهودي عند عمر مشهورة وفيها أن
عليا أنكر على عمر مخاطبته أمام خصمه اليهودي بالكنية وفيها تعظيم ينافي المساواة
بينهما . وقد تقدم أيضاً تفسير (وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة)
في آية البقرة المشار اليها آنفا . باؤا بالغضب كانوا أحقاء به من البواء وهو المساواة
يقال باء فلان بدم فلان أو بفلان اذا كان حقيقا أن يقتل بمساواته له . أو أقاموا
فيه ولبثوا من المباءة أي حلوا مبوأ أو بيئة من الغضب . وقد فسر بعضهم المسكنة
بالفقر وان تعجب فعجب قول البيضاوي ان اليهود في الغالب أهل فقر ومسكنة !!
وليست المسكنة هي الفقر وانما هي سكون عن ضعف أو حاجة . قال الاستاذ الامام

هنا إن المسكنة حالة الشخص منشؤها استصغاره لنفسه حتى لا يدعي لها حقا والذلة حالة تعتري الشخص من سلب غيره لحقه وهو يتمناه فمنشؤها وسببها غيره لا نفسه كالمسكنة . وكأن البيضاوي أخذ عبارته من قول الكشاف في سورة البقرة « فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة ومدقعة إما على الحقيقة وإما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة أن تضاعف الجزية عليهم » وهذا الوصف أكثر انطباقا عليهم في أكثر البلاد في ذلك العصر . ونقل الرازي أن الاكثرين فسروا المسكنة بالجزية لأنها هي التي بقيت مضروبة عليهم . أخذوا هذا من ذكرها بعد الاستثناء أي ان الذلة ضربت عليهم لا ترتفع عنهم الا بحبل من الله وحبل من الناس فاستثنى من الذلة ثم ذكر المسكنة ولم يستثن فاقتضى ذلك بقاءها عليهم . واذا كان المراد من الجزية كونهم تابعين لغيرهم يؤدون اليه ما يضرب عليهم من المال وادعين ساكنين فهذا الوصف صادق على اليهود الى اليوم في كل بقاع الأرض وأما الذل فقد كان ارتفع عنهم في بلاد المسلمين بحبل من الله وهو ما تقدم من وجوب معاملتهم بالمساواة واحترام دمائهم وأعراضهم وأموالهم والتزام حمايتهم والقود عنهم بعد انقاذهم من ظلم حكامهم السابقين الظالمين ، وبحبل من الناس بما تقدم بيانه ، ثم ارتفع عنهم فيما عدا روسيا من بلاد أوربا بحبل من الناس وهي قوانينهم التي تساوي بين رعاياهم في بلادهم، على ان لهم أعداء في أوربا وقد يخلون عليهم في ألمانيا بلقب الألماني ويعبرون عنهم بلقب اليهودي

وهل ترتفع عنهم المسكنة فيكون لهم ملك وسلطان في يوم من الايام ؟ الجواب عن هذا يحتاج فيه الى بسط فاما من الجهة الدينية فهم يقولون بأنهم يبشرون بذلك بظهور مسيح « مسيا » فيهم ومعناه ذو الملك والشريعة . والنصارى يقولون ان هذا الموعود به هو المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام والمراد بالملك الذي يجيء به الملك الروحاني المعنوي . وفي انجيل برنابا عن المسيح أن ذلك الموعود به هو محمد عليه الصلاة والسلام أي فهو الذي جاء بالنبوة التي استتبعت الملك . ومحل هذا البحث تفسير قوله تعالى فيهم (١٧ : ٨ عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا) فانه ذكر هذا بعد ذكر إفسادهم الارض مرتين وتسلط الامم عليهم . وأما من

الجهة الاجتماعية فيبحث فيه عن تفرقهم في الارض على قلتهم ، وعن انصرافهم عن فنون الحرب وأعمالها ، وضعفهم في الاعمال الزراعية لعنايتهم بجمع المال من أقرب الموارد وأكثرها نماء وأقلها عناء كالربا . ولا مجال هنا لتفصيل ذلك وبيان علاقته بالملك

ثم علل تعالى هذا الجزاء وبين سببه فقال (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق) وتقدم مثله في البقرة أي ذلك الذي ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم وخلاقتهم بالغضب الالهي بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء بغير حق لمطالبتهم إياه شريعتهم . وفي التنصيص على كون ذلك بغير حق مع العلم به تغليظ عليهم وتشنيع على مجرمهم الباطل وكون ذلك عن عمد لا عن خطأ . ثم بين سبب هذا الكفر والعدوان الشنيع فقال (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أي جرأهم على ذلك سبق المعاصي والاستمرار على الاعتداء فتدرجوا من الصغائر الى الكبائر الى أكبر الموبقات وهو الكفر وقتل الانبياء المرشدين والهداة الصالحين الذين يأمرون بالمعروف وينهون المنكر فصار هذا العصيان والاعتداء خلقا للأمة وملكة يتوارثه الابناء عن الآباء بلا نكير ولهذا نسب الى متأخريهم ما فعل متقدموهم والامم متكافلة ينسب الى مجموعها ما فشا فيهم وان ظهر بعض آثاره في زمن دون زمن وتقدم بيان ذلك غير مرة

ومن مباحث اللفظ في الآية اعراب قوله تعالى «الا بحبل من الله وحبل من الناس» قال الزمخشري هو في محل النصب على الحال بتقدير «الا معتصمين أو متمسكين أو متلبسين بحبل من الله وحبل من الناس وهو استثناء من أعم الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس

(١١٣ : ١٠٩) لَيْسُوا سَوَاءً ، مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَٰتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٤ : ١١٠) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي الْخَيْرَٰتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّٰلِحِينَ (١١٥ : ١١١) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ •

قوله تعالى (ليسوا سواء) كلام تام أي ليس أهل الكتاب متساوين في هذه الأوصاف والأعمال القبيحة التي ذكرت آنفا بل منهم المؤمنون وهم الأقلون، ومنهم الفاسقون وهم الأكثرون، كما قال في الآية المتقدمة «منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون» فهو بيان له بعد وصف الفاسقين وذكر ما استحقت الأمة بسوء عملهم . ولما بين وصف فاسقيهم كان من العدل الآلهي ان يبين وصف مؤمنيهم ولذلك قال (من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) الآيات . قيل ان هذه الأمة جماعة أسلموا من اليهود كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد وأسيد بن سعيد وأسيد بن عبيد رواه ابن جرير عن ابن عباس . وروى عن قتادة إنه كان يقول في الآية « ليس كل القوم هلك قد كان لله فيهم بقية » بل روى عن ابن عباس أنه قال في الامة القائمة « أمة مهتدية قائمة على أمر الله لم تنزع عنه ولم تتركه كما تركه الآخرون وضيعوه » وحمل ابن جرير هذا القول على تلك الرواية أي ان هذا مقول فيمن أسلم منهم ولكنه لا ينطبق عليهم في حال الاسلام لان ما قاموا عليه هو ما ضيعه الآخرون وهو من دينهم وكتابهم فالظاهر ان الروايات اختلط بعضها ببعض أو المراد ان هؤلاء الذين وصفوا بالتمسك بما حفظوا من كتابهم والقيام بما عرفوا من دينهم هم الذين أسلموا بعد ذلك فيكون هذا الوصف لهم قبل الاسلام . وقد نقل الرازي في الآية قولين أحدهما ان المراد بهذه الامة القائمة عبد الله بن سلام وأصحابه والثاني ان المراد بأهل الكتاب كل من أوتي الكتاب من أهل الاديان قال « وعلى هذا القول يكون المسلمون من جملتهم » : وأي حاجة الى ادخال المسلمين في أهل الكتاب عند اطلاقه وهو مخالف لعرف القرآن والمسلمون مستغنون عن هذا الادخال بقوله « كنتم خير أمة أخرجت للناس » الآية وما هي من هذه ببعيد . ألا ان أكثر مفسرينا قد صعب عليهم ان يكون في أهل الكتاب أحد يؤمن بالله ويفعل الخير فلذلك اضطربوا في الآية وأمثالها وهي ظاهرة

قال الاستاذ الامام هذه الآية من العدل الالهي في بيان حقيقة الواقع وإزالة الايهام السابق وهي دليل على ان دين الله واحد على ألسنة جميع الانبياء وأن كل

من أخذه بإذعان، وعمل فيه بإخلاص، فأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، فهو من الصالحين . وفي هذا العدل قطع لاحتجاج أهل الكتاب الذين يحرمون من أنفسهم الإيمان والإخلاص في العمل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - يعني الأستاذ أنه لولا مثل هذا النص لكان لهم أن يقولوا لو كان هذا القرآن من عند الله لما ساوانا بغيرنا من الفاسقين ونحن مؤمنون مخلصون له - وفيه استمالة لهم وتنزه عن التفرقة بين الأمم والملل التي لم يكن يعترف فيها أحد الفريقين بفضيلة ولا مزية للآخر كأنه يجرده من الفضائل في بعض الأشياء - وإن كان معذوراً - تتبدل حسناته سيئات وظاهر أن هذا كالذي قبله في أهل الكتاب حال على كونهم على دينهم خلافاً لمفسر (الجلال) وغيره الذين حملوا المدح على من أسلم منهم فإن المسلمين لا يمدحون بوصف أنهم أهل الكتاب وإنما يمدحون بعنوان المؤمنين :

ثم إنه ذكر اختلاف المفسرين في قوله «قائمة» ورجح أن معناها موجودة ثابتة على الحق قال وفي ذلك تعريض بالمنحرفين عن الحق بأنهم لا يعدون من أهل الوجود وإنما حكمهم حكم العدم ، وأمثال أولئك من لا خير في وجودهم الذين قال في مثلهم الشاعر

خلقوا وما خلقوا لمكرمة　　فكأنهم خلقوا وما خلقوا
رزقوا وما رزقوا سماح يد　　فكأنهم رزقوا وما رزقوا

وقال الزمخشري في تفسير الكلمة في الكشاف : أمة قائمة مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام بمعنى استقام :

وأقول إن استقامة بعض أهل الكتاب على الحق من دينهم لا ينافي ما حققناه في تفسير التوراة والانجيل في أول السورة من ضياع بعض كتبهم وتحريف بعضهم لما في أيديهم منها - فإن من يعرف من المسلمين بعض السنة ويحفظ بعض الأحاديث النبوية فيعمل بما علم مستمسكاً به مخلصاً فيه يقال إنه قائم بالسنة السنية عامل بالحديث النبوي وإن كان بعض الأحاديث قد نقل بالمعنى وبعضها ضعيف أو موضوع وبعض الناس كالحشوية حرفوها بل وحرفوا بعض آيات القرآن تحريفاً معنوياً ليدعموا بها مذاهبهم وآراءهم

أما قوله تعالى «يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون» فمعناه على القول بأن المراد بهم من دخل في الاسلام ظاهر وعلى القول الآخر المختار أنهم يتلون ماعندهم من مناجاة لله والدعاء له والثناء عليه عزوجل وهي كثيرة في كتبهم لاسيما زبور (مزامير) داود عليه السلام كقوله في المزمور السادس والثلاثين (٥ يارب في السموات رحمتك، أمانتك الى الغمام ٧ ما أكرم رحمتك يالله فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون ٨ يروون من دسم بيتك ومن نهر نعمتك تسقيهم ٩ لأن عندك ينبوع الحياة ، بنورك نرى نورا ١٠ أدم رحمتك للذين يعرفونك وعدلك لمستقيمي القلب ١١ لا تأتني رجل الكبرياء ويد الاشرار لاتزحزحني ١٢ هناك سقط فاعلو الاثم ، دحروا فلم يستطيعوا القيام»

وقوله في المزمور الخامس والعشرين «١ إليك يارب أرفع نفسي ٢ يا إلهي عليك توكلت فلا تدعني أخزى ، لا تشمت بي أعدائي ٣ كل منتظريك لايخزوا أيضاً ، ليخز الغادرون بلا سبب ، طرقك يارب عرفني ، سبلك علمني ٥ دربني في حقك وعلمني ، لأنك أنت إله خلاصي ، اياك انتظرت اليوم كله ٦ اذكر مراحمك يارب واحساناتك لأنها منذ الأزل ٧ لا تذكر خطايا صباي ولا معاصيّ ، كرحمتك اذكرني أنت من أجل جودك يارب»

وأمثال هذه الأدعية والمناجاة كثيرة جداً واذا رآها العربي البليغ غريبة الاسلوب فليذكر أنها ترجمة ضعيفة وان قراءتها بلغة أهل الكتاب أشد تأثيرا في النفس من قراءة ترجمتها هذه

أما السجود الذي أسنده اليهم فهو اما عبارة عن صلاتهم واما استعمال له بمعناه اللغوي وهو التطامن والتذلل كما تقدم في تفسير قوله تعالى في خطاب مريم «واسجدي واركعي مع الراكعين»

ثم قال فيهم (يؤمنون بالله واليوم الآخر) أي يؤمنون ايمانا اذعانيا وهو ماثمر الخشية لله والاستعداد لذلك اليوم لا ايمانا جنسيا لاحظ لصاحبه منه الا الغرور والدعوى كما هو شأن الاكثرين من أبناء جنسهم (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) فيما بينهم وان لم يكن لهم صوت في جمهور أمتهم لغلبة الفسق والفساد عليها كما هو مدون في التاريخ وبذلك تتفق الآيات الواردة فيهم . ولا

غرابة في ذلك فقد اتبعنا سننهم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى ترك سوادنا الاعظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيث يصح ان يقال ان الامة تركته الا أفراداً قليلين لا تأثير لهم في المجموع . (ويسارعون في الخيرات) كما هو شأن المؤمن المخلص لا يتباطأ فيها يعنّ له من الخير وانما يتباطأ الذين في قلوبهم مرض كما قال تعالى في المنافقين (٤ : ١٤٢ واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلاً) فلا غرو ان يقول فيهم بعد هذه الاعمال التي كانوا يواظبون عليها (وأولئك من الصالحين) الذين صلحت نفوسهم فاستقامت أحوالهم وحسنت أعمالهم

ثم قال (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) أي فلن يضيع ثوابه كما يكفر الشيء أي يستر حتى كأنه غير موجود وقد سمى الله تعالى اثابته المحسنين شكرا وسمى نفسه شكورا لحسن في مقابلة هذا ان يعبر عن عدم الاثابة بالكفر الذي يقابل الشكر وقال الزمخشري انه عدي الى مفعولين لتضمينه معنى الحرمان فالمعنى لن يحرموا جزاءه (والله عليم بالمتقين) وانما يجزي العاملين بحسب مايعلم من أمرهم وما تنطوي عليه نفوسهم من نياتهم وسرائرهم فمن آمن ايمانا صحيحا واتى مايفد عليه ثمرات ايمانه فأولئك هم الفائزون. فلاعبرة بجنسيات الاديان، وانما العبرة بالتقوى مع الايمان.



كتابان سياسيان

﴿ لحكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني (١) ﴾

الاول أرسله من البصرة الى رئيس المجتهدين في السامرة (سر من رأى) وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

حقاً أقول : ان هذا الكتاب خطاب الى روح الشريعة المحمدية أينما وجدت، وحيثما حلت ، وضراعة تعرضها الأمة على نفوس زاكية تحققت بها ، وقامت بواجب شؤونها، كيفما شاءت [illegible] فأحببت عرضه على الكل وان كان عنوانه خاصاً

حبر الأمة ، وبارقة أنوار الأئمة ، ودعامة عرش الدين ، واللسان الناطق عن الشرع المبين ، جناب الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازي صان الله به حوزة الاسلام ورد كيد الزنادقة اللئام

لقد خصك الله بالنيابة العظمى عن الحجة الكبرى واختارك من العصابة الحقة وجعل بيدك أزمة سياسة الأمة بالشريعة الغراء وحراسة حقوقها بها وصيانة قلوبها عن الزيغ والارتياب فيها وأحال اليك من بين الأنام (وأنت وارث الانبياء) مهام أمور تسعد بها الملة في دارها الدنيا وتحظى بالعقبى ووضع لك أريكة الرئاسة العامة على الأفئدة والنهى اقامة لدعامة العدل وانارة لمحجة الهدى وكتب عليك بما أولاك من السيادة على خلقه حفظ الحوزة والذود عنها والشهادة دونها على سنن من مضى

(*) منقولان من ترجمته في الجزء الأول من تاريخ الاستاذ الامام الذي يطبع الآن

وان الأمة قاصيها ودانيها وحاضرها وباديها ووضيعها وعاليها قد أذعنت لك بهذه الرئاسة السامية الربانية جاثية على الركب خارة على الاذقان تطمح نفوسها اليك في كل حادثة تعروها تطل ببصائرها عليك في كل مصيبة تمسها وهي ترى ان خيرها وسعدها منك وان فوزها ونجاتها بك وان أمنها وأمانيها فيك

فاذا لمح منك غض طرف ، أو تيت (١) بجانبك لحظة ، وأمهلتها وشأنها لمحة ، ارتجفت أفئدتها ، واختلت مشاعرها ، وانتكثت عقائدها ، وانهدمت دعائم ايمانها ، ثم لابرهان قاطعة فيما دانوا ، الا استقامة الخاصة فيما أمروا ، فان وهن هؤلاء في فريضة ، أو قعد بهم الضعف عن اماطة منكر ، لا عتور أولئك الظنون والاوهام ، ونكص كل على عقبيه مارقا من الدين القويم ، حائدا عن الصراط المستقيم .

وبعد هذا وذاك أقول ان الأمة الايرانية بما دهمها من عراقيل الحوادث التي آذنت باستيلاء الضلال على بيت الدين ، وتطاول الأجانب على حقوق المسلمين ، وهجوم الجهة التي (اياك أعني) [illegible] القيام بناصرها وهو حامل الامانة ، والمسؤول عنها يوم القيامة ، قد طارت نفوسها شعاعا ، وطاشت عقولها ، وتاهت أفكارها ووقفت موقف الحيرة (وهي بين انكار واذعان وجحود وايقان) لا تهتدي سبيلا ، وهامت في بيداء الهواجس في عتمة الوساوس ضالة عن رشدها لا تجد اليه دليلا ، وأخذ القنوط بمجامع قلوبها ، وسد دونها أبواب رجائها ، وكادت ان تختار إياساً منها الضلالة على الهدى ، وتعرض عن محجة الحق وتتبع الهوى ، وان آحاد الأمة لا يزالون يتساءلون شاخصة أبصارهم من أسباب قضت على حجة الاسلام (اياك أعني) بالسبات والسكوت ، وحتم عليه ان يطوي الكشح عن إقامة الدين على أساطينه ، واضطره الى ترك الشريعة وأهلها ، الى أيدي زنادقة يلعبون بها كيفما يريدون ، ويحكمون فيها بما يشاؤن ، حتى ان جماعة من الضعفاء زعموا أن قد كذبوا وظنوا في الحجة ظن السوء ،

(١) كذا في الاصل والبيت هو التمايل من ضعف وفعله ككال يكيل

وحسبوا الامر أحبولة الحاذق، وأسطورة الملق، وذلك لأنها ترى (وهو الواقع) ان لك الكلمة الجامعة، والحجة الساطعة، وان أمرك في الكل نافذ، وليس لحكمك في الامة منابذ، وانك لو أردت تجمع آحاد الامة بكلمة منك (وهي كلمة تنبثق من كيان الحق الى صدور أهله) فترهب بها عدو الله وعدوهم، وتكف عنهم شر الزنادقة، وتزيح ما حاق بهم من العنت والشقاء، وتنتشلهم من ضنك العيش الى ما هو أرغد وأهنى، فيصير الدين بأهله منيعا حريزا، والاسلام بحجته رفيع المقام عزيزا،

هذا هو الحق، انك رأس العصابة الحقة (١)، وانك الروح الساري في آحاد الأمة، فلا يقوم لهم قائم الا بك، ولا تجتمع كلمتهم الا عليك، لو قمت بالحق نهضوا جميعا ولهم الكلمة العليا، ولو قعدت تثبطوا، وصارت كلمتهم هي السفلى، ولربما كان هذا السير والدوران حينما غض حبر الأمة طرفه عن شؤونهم وتركهم هملا بلا راع، وهمجا بلا رادع ولا داع، يقيم لهم عذرا فيما ارتأوا، خصوصا لما رأوا أن حجة الاسلام تدرون فيما تلقته الامة خاصتها وعامتها على وجوبه، وأجمعت على حظر الاتقاء فيه (٢): خشية القوم الاوهى معتقدة بجوازه الاسلام الذي به بعد الصيت وحسن الذكر والشرف الدائم والسعادة التامة، ومن يكون أليق بهذه وأحرى بها ممن اصطفاه الله في القرن الرابع عشر، وجعله برهانا لدينه وحجة على البشر،

أيها الحبر الأعظم، ان الملك قد وهنت مريرته فساءت سيرته، وضعفت مشاعره فقبحت سريرته، وعجز عن سياسة البلاد، وادارة مصالح العباد، فجعل زمام الامور كليها وجزئيها بيد زنديق أثيم، غشوم ثم بعد ذلك زنيم.. يسب الانبياء في المحاضر جهرا، ولا يذعن لشريعة الله أمرا، ولا يرى لرؤساء الدين وقرا، يشتم العلماء، ويقذف الاتقياء، ويهين السادة الكرام، ويعامل الوعاظ معاملة اللئام، وأنه بعد رجوعه من البلاد الافرنجية قد خلع العذار، وتجاهر بشرب العقار، وموالاة الكفار، ومعاداة الأبرار، هذه هي أفعاله الخاصة في نفسه..

ثم انه باع الجزء الأعظم من البلاد الايرانية ومنافعها لأعداء الدين ـ المعادن،

---

(١) الحقة الثابتة القوية والمراد طائفة العلماء لاسيما المجتهدين منهم (٢) الاتقاء التقية

والسبل الموصلة اليها ، والطرق الجامعة بينها وبين تخوم البلاد ، والخانات التي تبنى على جوانب تلك المسالك الشاسعة التي تتشعب الى جميع ارجاء المملكة وما يحيط بها من البساتين والحقول .. نهر الكارون والفنادق التي تنشأ على ضفتيه الى المنبع وما يستتبعها من الجنائن والمروج .. والجادة من الاهواز الى طهران وما على أطرافها من العمارات والفنادق والبساتين والحقول .. والتنباك وما يتبعه من المراكز ومحلات الحرث وبيوت المستحفظين والحاملين والبائعين اين وجد وحيث نبت ، وحكر العنب الخمور وما تستلزمه من الحوانيت والمعامل والمصانع في جميع أقطار البلاد ، والصابون والشمع والسكر ولوازمها من المعامل ، والبنك وما أدراك ماالبنك هو اعطاء زمام الأهالي كلية بيد عدو الاسلام واسترقاقه لهم واستملاكه اياهم وتسليمهم له بالرئاسة والسلطان ،

ثم ان الخائن البليد أراد أن يرضي الملة براهين برهانه فحقق قائلا ان هذه معاهدات زمانية ، ومقاولات وقتية، لا تطول مدتها أزيد من مائة سنة !! يالله من هذا البرهان الذي [illegible] الخائن [illegible] الدولة الروسية حقاً لسكوتها (لو سكتت) [illegible] والجادة من أنزلي الى الخراسان وما يتعلق بها من الدور والفنادق والحقول . . . ولكن الدولة الروسية شمخت بأنفها وأعرضت عن قبول تلك الهدية ، وهي عازمة على استملاك الخراسان والاستيلاء على الاذربيجان والمازندران ان لم تحل هذه المعاهدات ولم تفسخ هذه المقاولات القاضية على تسليم المملكة تماما بيد ذاك العدو الالد ، هذه هي النتيجة الاولى لسياسة هذا الاخرق ،

وبالجملة ان هذا المجرم قد عرض اقطاع البلاد الايرانية على الدول بيع المزاد، وانه يبيع ممالك الاسلام ودور محمد وآله عليهم الصلاة والسلام للاجانب ولكنه لخسة طبعه ودناءة فطرته لايبيعها الا بقيمة زهيدة ودراهم معدودة (نعم هكذا يكون اذا امتزجت اللئامة والشره بالخيانة والسفه)

وانك أيها المجتهد لم تقم بنصرة هذه الأمة ولم تجمع كلمتها ولم تنزعها بقوة الشرع من يد هذا الأثيم لاصبحت حوزة الاسلام تحت سلطة الأجانب يحكمون

فيها بما يشاؤن ويفعلون ما يريدون) ، واذا فاتتك هذه الفرصة أيها الحبر ووقع الامر وأنت حي لما أبقيت ذكرا جميلا بعدك في صحيفة العالم وأوراق التواريخ... وأنت تعلم أن علماء الايران كافة والعامة بأجمعهم ينتظرون منك (وقد حرجت صدورهم وضاقت قلوبهم) كلمة واحدة ويرون سعادتهم بها ونجاتهم فيها . . . ومن خصه الله بقوة كهذه كيف يسوغ له أن يفرط فيها ويتركها سدى ،

ثم أقول للحجة قول خبير بصير ان الدولة العثمانية تبتهج بنهضتك على هذا الامر وتساعدك عليه لأنها تعلم أن مداخلة الافرنج في الاقطار الايرانية والاستيلاء عليها تجلب الضرر الى بلادها لامحالة ، وان وزراء الايران وأمراءها كلهم يبتهجون بكلمة تنبض بها في هذا الشأن لانهم بأجمعهم يعافون هذه المستحدثات طبعاً ، ويسخطون من هذه المقاولات جبلة، ويجدون بنهضتك مجالا لابطالها ، وفرصة لكف شر الشره الذي رضي بها وقضى عليها ،

ثم ان العلماء وان كان كل صدع بالحق وجبه هذا الاخرق الخائن بسوء أعماله ولكن ردعهم الزولا وزجرهم عن الخيانة وخوفهم المحروين ماقرت كلمة المعدات قرارا ، ولاجمعتها وحدة المقصد في زمان واحد ،

وهؤلاء لتماثلهم في مدارج العلوم وتشاكلهم في الرئاسة وتساويهم في الرتب غالباً عند العامة لاينجذب بعضهم الى بعض ولايصير أحد منهم لصقاً للآخر ولا يتم بينهم تأثير الجذب وتأثر الانجذاب حتى تتحقق هيئة وحدانية وقوة جامعة يمكن بها دفع الشر وصيانة الحوزة . كل يدور على محوره، وكل يردع الزور وهو في مركزه، (هذا هو سبب الضعف عن المقاومة وهذا هو سبب قوة المنكر والبغي). وأنت وحدك أيها الحجة بما أوتيت من الدرجة السامية والمنزلة الرفيعة علة فعالة في نفوسهم، وقوة جامعة لقلوبهم، وبك تنضم القوى المتفرقة الشاردة، وتلتئم القدر المتشتتة الشاذة ، وان كلمة منك تأتي بوحدانية تامة يحق لها أن تدفع الشر المحدق بالبلاد، وتحفظ حوزة الدين وتصون بيضة الاسلام . . . . فالكل منك وبك واليك . . وأنت المسؤول عن الكل عند الله وعند الناس

ثم أقول ان العلماء والصلحاء في دفاعهم فرادى عن الدين وحوزته قد قاسوا

من ذلك المثل" شدائد ماسبق منذ قرون لها مثيل ، ويعملوا لصيانة بلاد المسلمين من الضياع وحفظ حقوقهم من التلف كل هوان وكل صغار وكل فضيحة .

ولا شك أن حبر الامة قد سمع مافعله أدلاء الكفر وأعوان الشرك بالعالم الفاضل الصالح الواعظ الحاج الملا فيض الله الدربندي . وستسمع قريبا ماصنعه الجفاة الطغاة بالعالم المجتهد التقي البار الحاج السيد علي أكبر الشيرازي وستحيط علما بما فعلوه بحماة الملة والامة من قتل وضرب وكيّ وحبس . ومن جملتهم الشاب الصالح الميرزا محمد رضا الكرماني الذي قتله ذلك المرتد في الحبس والفاضل الكامل البار حاج سياح والفاضل الاديب الميرزا فروغي والاريب النجيب الميرزا محمد علي خان والفاضل المتقن اعتماد السلطنة وغيرهم .

وأما قصتي* وما فعله ذلك الكنود الظلوم معي ، فما يفتت أكباد أهل الايمان ، ويقطع قلوب ذوي الايقان ، ويقضي بالدهشة على أهل الكفر وعباد الاوثان ، ان ذلك اللئيم أمر بسحبي وأنا متحصن بحضرة عبد العظيم عليه السلام في شدة المرض على الثلج الى دار الحكومة [illegible] وفضيحة لا يمكن أن يتصور دونها في الشناعة (هذا كله بعد النهب والغارة) فانا لله وانا اليه راجعون .

ثم حملني زبانيته الأوغاد وأنا مريض على برذون [illegible] في فصل الشتاء وتراكم الثلوج والرياح الزمهريرية وساقتني جحفلة من الفرسان الى خانقين وصحبني جمع من الشرط . . . ولقد كاتب الوالي من قبل والتمس منه أن يبعدني الى البصرة علما منه أنه لو تركني ونفسي لاتيتك أيها الحبر وبثثت لك شأنه وشأن الامة وشرحت لك ما حاق ببلاد الاسلام من شر هذا الزنديق ، ودعوتك أيها الحجة الى عون الدين ، وحملتك على إغاثة المسلمين ، . . وكان على يقين اني لو اجتمعت بك لا يمكنه ان يبقى على دست وزارته المؤسسة على خراب البلاد ، وهلاك العباد ، واعلاء كلمة الكفر . . . . . ومما زاده لوما على لؤمه ودناءة على دناءته أنه دفعا لثورة العامة وتسكينا لهياج الناس بسبب تلك المصابة التي ساقتها غيرة الدين وحمية الوطن الى المدافعة عن حوزة الاسلام وحقوق الاهالي (بقدر الطاقة والامكان) الى الطائفة البابية . . كما أشاع بين الناس أولاً (قطع الله لسانه) أني كنت غير

مختون (وا إسلاماه) ما هذا الضعف؟ ما هذا الوهن؟ كيف أمكن أن صعلوكاً دنيء النسب، ووغدا خسيس الحسب، قدران يبيع المسلمين وبلادهم بثمن بخس دراهم معدودة ويزدري بالعلماء ويهين السلالة المصطفوية ويبهت السادة المرتضوية البهتان العظيم، ولا يد قادرة تستأصل هذا الجذر الخبيث شفاء لغيظ المؤمنين، وانتقاما لآل سيد المرسلين، عليه وآله الصلاة والسلام .

ثم لما رأيت نفسي بعيداً عن تلك الحضرة العالية أمسكت عن بث الشكوى ......

ولما قدم العالم المجتهد القدوة الحاج السيد علي أكبر الى البصرة طلب مني ان اكتب الى الحبر الاعظم كتابا أبث فيه هذه الغوائل والحوادث والكوارث فبادرت اليه امتثالاً، وعلمت أن الله تعالى سيحدث بيدك أمراً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السيد الحسيني

....

(يقول محمد رشيد) إن هذا الكتاب نفخ روح الحماسة والغيرة في ذلك العالم العظيم صاحب النفوذ الروحي في الامة الفارسية فأفتى بحرمة استعمال التنباك وزراعته وأذاع العلماء الفتوى بسرعة البرق فخضعت لها أعناق الامة حتى قيل ان الشاه طلب في صبيحة يوم بعد وصول الفتوى الى طهران النارجيله (الشيشة) فقيل له أنه ليس في القصر تنباك لانه الاهمال فسأل عن السبب مبهوتا فقيل له: فتوى حجة الاسلام ؛ فقال لم لم تستأذنوني؟ قيل انها مسألة دينية لاحاجة فيها الى الاستئذان !! واضطر بعد ذلك الى ترضية الشركة الانكليزية على أن تأخذ نصف مليون جنيه وتبطل الامتياز . وبهذا انقذ السيد جمال الدين بلاد ايران من احتلال الانكليز لها بإبطال مقدمته وهو ذلك الامتياز أو الامتيازات التي قرأت شرحها في كتابه فهكذا تكون الرجال وهكذا تكون العلماء

هكذا هكذا والا فلا لا   ليس كل الرجال تدعي رجالا

وقد ظهر الآن تأثير نفوذ طائفة العلماء في بلاد فارس أتم الظهور بما كان قلب نظام الحكومة وتحويلها عن الاستبداد المطلق الى الشورى - ولعل تلك الحادثة هي المنبه الاول للعلماء الى ان الامر في ايديهم - فالسيد جمال الدين على هذا هو

بلاد فارس

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حملة القرآن ، وحفظة الايمان ، ظهراء الدين المتين ، ونصراء الشرع المبين ، جنود الله الغالبة في العالم ، وحججه الدامغة لضلال الأمم ، جناب الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازي ، وجناب الحاج الميرزا حبيب الله الرشتي ، وجناب الحاج الميرزا أبي القاسم الكربلائي ، وجناب الحاج الميرزا جواد الآقا التبريزي ، وجناب الحاج السيد علي اكبر الشيرازي ، وجناب الحاج الشيخ هادي النجم آبادي ، وجناب الميرزا حسن الآشتياني ، وجناب السيد الطاهر الزكي صدر العلماء ، وجناب الحاج آقا محسن العراقي ، وجناب الحاج الشيخ محمد تقي الاصفهاني ، وجناب الحاج الملا محمد تقي البجنوردي ، وسائر حملة الأمة ، ونواب الأئمة ، من الاحبار العظام ، حامل الكلمة ، الرافعة بهم الاسلام والمسلمين ، وأرغم أنوف الزنادقة المتجبرين آمين

طالما تاقت الامم الافرنجية الى الاستيلاء على البلاد الايرانية حرصا منها وشرها ، ولكم سولت لها أمانيها خدعا تمكنها من الولوج في ارجائها وتمهد فيها سلطانها على غرة من اهلها تحاشيا من المقارعة التى تورث الضغائن فتريث النفوس على الثورة كلما سنحت لها الفرص وقضت بها القدرات . ولكنها علمت ان بلوغ الارب والعلماء في عز سلطانهم ضرب من المحال لان القلوب تهوي اليهم طرا ، والناس جميعا طوع يدهم يأتمرون كيفما أمروا ، ويقومون حيثما قاموا ، لامرد لقضائهم ، ولا دافع لحكمهم ، وانهم لايزالون يدأبون في حفظ حوزة الاسلام لاتأخذهم فيه غفلة ، ولا تعروهم غرة ، ولا تعبد بهم شهوة ، فخنست وهي تتربص بهم الدوائر ، وتترقب الحوادث ، ايم الله إنها قد اصابت فيما رأت ، لان العامة لولا العلماء وعظيم مكانتهم في النفوس لالتجأت بطيب النفس الى الكفر واستظلت بلوائه خلاصا من هذه الدولة الذليلة الجائرة الخرقى التى قد عدمت القوة ، وفقدت

النصفة، وانفت المعاملة، فلا حازت منها شرفا، ولا صانت بها انفسها حقا، ولا انشرح منها صدورها فرحا .

ولقد كلما ضعفت قوة العلماء في دولة من الدول الاسلامية وثبت عليها طائفة من الافرنج ومحت اسمها، وطمست رسمها،

إن سلاطين الهند وأمراء ماوراء النهر جدت في إذلال علماء الدين فعاد الوبال عليهم سنة الله فى خلقه ... وان الافغانيين ماصانوا بلادهم عن أطماع الأجانب وما دفعوا هجمات الانكليز مرة بعد أخرى الا بقوة العلماء وقد كانت فى نصابها *

ولما تولى هذا الشاه (الحارية «١» الطاغية) الملك طفق يستلب حقوق العلماء تدريجا ويخفض شأنهم ويغتال نفوذ كلمتهم حبا بالاستبداد باطل أوامره ونواهيه، وحرصا على توسيع دائرة ظلمه وجوره، فطرد جما من البلاد بهوان، ونهى فرقة عن إقامة الشرع بصغار، وجلب طائفة من أوطانها الى دار الجور والخرق (طهران) وقهرها على الإقامة فيها بكل ذلة ليتم قهر العباد وإذلال البلاد وتقلب فى أطوار الفظائع وتجاهر بأنواع الشنائع وسرف في شهواته الدنية وملاذه البهيمية ما مصه من دماء الفقراء والمساكين عصرا ونزح من دموع الأرامل والأيتام قهرا (ياللاسلام)

فاذا اشتد جنونه بجميع فنونه فاستوزر وغدا أخيسا ليس له دين يردعه ولا عقل يزجره ولا شرف نفس يمنعه وهذا المارق ماقعد على دسته الا وقام بإبادة الدين ومعاداة المسلمين وساقه دناءة الأرومة وذلة الجرثومة الى بيع البلاد الاسلامية بقيم زهيده *

فحسبت الأفرنج ان الوقت قد حان لاستملاك الأقطار الايرانية بلا كفاح ولا قتال وزعمت ان العلماء الذين كانوا يذبون عن حوزة الاسلام قد زالت شوكتهم وفقد نفوذهم فهرع كل فغر فاه يبغي أن يسرط قطعة من تلك المملكة *

فثار الحق وغضب على الباطل فدمغه فخاب مسعاه وذل كل جبار عنيد .

---

(١) هي الحية كبرت فصغرت حتى بقي رأسها فيه سمها ونفسها وهي أخبث الافاعي

أقول الحق إنكم يا أيها القادة قد عظمتم الاسلام بعزيمتكم وأعليتم كلمته وملأتم القلوب من الرهبة والهيبة . وعلمت الأجانب طرا ان لكم سلطانا لا يقاوم وقوة لا تدفع وكلمة لا ترد وانكم سياج البلاد وبيدكم أزمة العباد ولكن قد عظم الخطب الآن وجلت الرزية لأن الشياطين قد تألبت جبرا لكسر وحرصاً على الوصول الى الغاية وأزمعت على اغراء ذلك المارق الأثيم على طرد العلماء كافة من البلاد . وأبانت له ان انفاذ الأوامر انما هو بانقياد قواد الجيوش وان القواد لا يعصون العلماء أمرا ولا يرضون بهم شرا فيجب لاستتباب الحكومة استبدالهم بقواد الأفرنج . وأرت ذلك البليد الخائن رآسة الشرطة وقيادة فوج (١) القزاق نموذجا (كنت واضرابه) . وان ذلك الزنديق وزملاءه في الالحاد يجدون الآن في جلب قواد من الأجانب . والشاه بجنونه المطبق قد استحسن هذا واهتز بطربه

لعمر الله لقد تحالف الجنون والزندقة وتعاهد البله والشره على محق الدين واضمحلال الشريعة وتسليم دار الاسلام الى الأجانب بلا مقارعة ولا منافرة ه

يا هداة الأمة [illegible] عن الملك [illegible] وأهملتموه على سرير جنونه وما أسرعهم بخلعه عن كرسيه فتقضي الأمور لمسير الملاح وتعذر التدارك ه

أنتم نصراء الله في الارض . ولقد محصت بالشريعة الالهية نفوسكم عن أهواء دنية تبعث على الشقاق وتدعو الى النفاق ويئس الشيطان بقدرات الحق عن تفريق كلمتكم . فأنتم جميعاً يد واحدة يذود بها الله عن صياصي دينه الحصينة ويذب بقوتها القاهرة جنود الشرك وأعوان الزندقة . وان الناس كافة (الامن قضى الله عليه بالخيبة والخسران) طوع أمركم . فلو أعلنتم خلع هذا (الحارية) لأطاعكم الأمير والحقير وأذعن لحكمكم الغني والفقير (ولقد شاهدتم في هذه الأزمان عيانا فلا أقيم برهانا) خصوصاً وان الصدور قد حرجت وان القلوب قد تفطرت من هذه السلطة القاسية الحق التي ماسدت ثغورا ولا جندت جنودا ولا عمرت بلادا ولا نشرت علوما ولا أعزت كلمة الاسلام ولا أراحت يوما

(١) يطلق الفرس هذا اللفظ العربي على الطائفة من العسكرية التي يطلق عليها الترك لفظ طابور (وصوابه بالعربية تابور) ويطلق عليها في مصر لفظ أورطه وهي أعجمية

ماقلوب الأنام بل دمرت وأقوت وأفقرت وأذلت ثم بعد ضلت وارتدت وأنها سحقت عظام المسلمين وعجنتها بدمائهم فعملت منها اللبنات(١) بنت بها قصورا لشهواتها الدنية - هذه آثارها في هذه المدة المديدة والسنين العديدة تمسألها وتبت يداها *

واذا وقع الخلع (وتكفيه كلمة واحدة ينبس بها لسان الحق غيرة على دينه) فلا ريب ان الذي يخلف هذا (الطاغية) لايمكنه الحيدان عن أوامركم الالهية ولا يسعه الا الخضوع بعتبتكم عتبة الشريعة المحمدية كيف لا وهو يرى عيانا مالكم من القوة الربانية التي تقلبون بها الطغاة عن كرسي غيها . وان العامة متى سعدت بالعدل تحت سلطان الشرع ازدادت بكم ولها وحامت حولكم هياما وصارت جميعاً جندا لله وحزبا لاوليائه العلماء *

ولقد وهم من ظن ان خلع هذا (الطاغية) لايمكن الا بهجات العساكر وطلقات المدافع والقنابر . ليس الامر كذلك . لان عقيدة ايمانية قد رسخت في العقول ، وتمكنت من النفوس ، وحق [illegible] على الله (هذا هو الحق وعليه المذهب) واذا أعلنتم (بدلالة القرآن) بحكم الله في هذا الغاصب الجائر وأبنتم أمره تعالى في حرمة إطاعته لانفض الناس من حوله فوقع الخلع بلا جدال ولاقتال *

ولقد أراكم الله في هذه الأيام إتماما لحجته ماأولاكم من القوة التامة ، والقدرة الكاملة ، وكان الذين في قلوبهم زيغ في ريب منها من قبل . اجتمعت النفوس بكلمة منكم على إرغام هذا الفرعون الذليل وهامانه الرذيل (مسألة التنباك) فعجبت الامم من قوة هذه الكلمة وسرعة نفوذها وبهت الذي كفر . قوة أنعمها الله عليكم لصيانة الدين وحفظ حوزة الاسلام . فهل يجوز منكم اهمالها وهل يسوغ التفريط فيها ؟ حاشا ثم حاشا *

قد آن الوقت لاحياء مراسم الدين ، واعزاز المسلمين ، فاخلعوا هذا (الطاغية) قبل أن يفتك بكم ، ويهتك اعراضكم ، ويثلم سياج دينكم ، ليس عليكم الا أن تعلنوا

(١) جمع لبنة من اللبن الذي يبنى به

على رؤوس الاشهاد حرمة إطاعته فاذاً يرى نفسه ذليلا قريباً يفر منه بطانته وينفر منه حاشيته ويذمه العساكر ويرجمه الأصاغر .

انكم يا أيها العلماء والذين قاموا معكم لتأييد الدين بعد اليوم في خطر عظيم. قد كسرتم قرن فرعون بعصا الحق وجدعتم أنف الجارية بسيف الشرع فهو يتربص فرصاً تساعده على الانتقام شفاء لغيظه ومرضاة لطبيعته التي فطرت على الحقد واللجاج فلا تمهلوه أياما ولا تمكنوه أن يقبض زماما اعلنوا خلعه قبل اندمال جرحه .

وحاشاكم أيها الراسخون في العلم أن تتأبوا في خلع رجل سلطانه غصب وأفعاله فسق وأوامره جور وانه بعد ان مص دماء المسلمين ونهش عظام المساكين وترك الناس عراة حفاة لا يملكون شيئاً حكم عليه جنونه ان يملك الأجانب بلادا كانت للاسلام نزلا وللدين حرزا وساقته سورة السفه الى اعلاء كلمة الكفر والاستقلال بلواء الشرك .

ثم أقول ان الوزراء والامراء وعامة الاهالي وكافة العساكر وأبناء هذا (الطائفة) ينتظرون الحكم الجليل (وقد فرغ صبرهم وقلقلت جلادتهم) كلمة واحدة حتى يخلعوا هذا الفرعون الذليل ويريحوا العباد من ضره ويصونوا حوزة الدين من شره قبل أن يحل يوم العار ولات حين مناص والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(السيد الحسيني)

(يقول محمد رشيد) ان للعلماء من الاحترام والنفوذ الروحي في بلاد الأعاجم ما ليس لهم في البلاد العربية وان احترامهم في بلاد الفرس أشد منه في سائر بلاد العجم فان الحكام ليس لهم عليهم من السلطة هناك مثل ما لغيرهم من حكام المسلمين . وما أزال الملوك والأمراء احترام العلماء ومحوا نفوذهم — حاشا ما كان منه مؤيداً لهم ومعونا لاستبدادهم — الا بما اخترعوه لهم من الرتب العلمية وكساوي الشرف الوهمية وبما جعلوا من موارد أرزاقهم في تصرفهم . فصار رزق العالم وجاهه الدنيوي بيد الأمير أو السلطان وهما الرسنان اللذان يقودون بهما طالب المال والجاه من العلماء الى حيث شاؤا . فاذا أمكن لطلاب الإصلاح الاسلامي أن يبطلوا هذه الرتب العلمية

وما لها من الشارات ويخرجوا أرزاق علماء الدين من أيدي الحكام فإنهم يحررون العلماء من رق يكون مقدمة لاصلاح الامة كلها

الاسلام دين اجتماعي جمع بين مصالح الدنيا والآخرة وقد عبث الحكام المستبدون في أهله بانتحال الرياسة فيه على كونهم قد أبطلوا اشتراط العلم الديني وغيره في الخليفة وفي السلطان والوالي بالأولى ثم جعل بعضهم الاحكام والأعمال والمناصب قسمين شرعية خاصة بعلماء الشرع كالقضاء فيما يسمونه الامور الشخصية وغير شرعية وهي سائر الاحكام القضائية والادارية والسياسية ولا يشترطون في عمال هذه الاحكام والأعمال معرفة شيء من أحكام الشرع ولا الأخذ بشيء من أمر الدين كما أنه لا يشترط في الحاكم الاعلى من أمير أو سلطان ان يكون قد تلقى علم التوحيد والفقه فضلاً عن التفسير والحديث . ومع هذا كله يجعل هذا الحاكم رئيساً دينياً ويجعل أمر علماء الدين في يده فهو الذي ينعم عليهم بالرتب العلمية التي يعد بها بعضهم فوق بعض في الدين وعلومه من غير مبالاة بالقاعدة المشهورة التي لا يختلف فيها العقلاء وهي «فاقد الشيء لا يعطيه» فلهذا صار الدين أمراً صورياً في أكثر بلاد المسلمين لا تجد عند حكامه الا بقدر تعلق العامة به على حسب ما عليه العامة كالاحتفال بالمواسم الدينية والمبتدعة

ينهدم ركن من اركان الاسلام كالزكاة فلا يبالي به الحكام الذين جعلوا انفسهم رؤساء الدين ويسكت معهم العلماء عن ذلك فلا يقومون بفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي سياج الدين لانهم على قسمين قسم مرتبط بالسلاطين والامراء فهم تابعون لهم وقسم لا شأن له فهو يستصغر نفسه ان تقوم بالدعوة الى احياء الدين فاذا عرف لنفسه قيمة وظهر بالدعوة فطفقت العامة تحترمه تفحه الامراء بشيء من الدنانير التي قاموا على خزائنها - وهي للامة لا لهم - وألقوا في عنقه ورأسه طوقا من الفضة او الذهب (علامة الشرف) فكان لهم من المتقادين

فلا صلاح للاسلام الا باستقلال العلماء وعدم ارتباطهم في التعلم والتعليم والارشاد ولا في الرزق بالامراء والسلاطين كما تقدم

كتابان سياسيان

للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

(أو مطالب مصر من انكلترا)

المستر بلنت الانكليزي المستشرق الشهير كتاب سماه (التاريخ السري للاحتلال) جاء في الطبعة الثانية منه ترجمة كتابين ارسلهما اليه صديقه الاستاذ الامام جوابا عن أسئلة سأله عنها وقد ترجمتهما جريدة اللواء عن الانكليزية الى العربية ونقلهما عنها المؤيد وهذا نص الجريدتان:

سأل المستر «ولفرد سكاون بلنت» المرحوم المفتي رأيه في الحال السياسية الجديدة التي نشأت في مصر عن ابرام الاتفاق الودي عقب توقيع فرنسا وانكلترا عليه فأجابه فضيلته على ذلك السؤال في كتاب بعثه اليه يوم ٦ مايو سنة ١٩٠٤ هذا نصه «ان رأيي في الادارة المصرية اذا بقيت الخديوية في أسرة محمد علي هو كما يأتي

١ — أول وأهم قاعدة أساسية في تلك الادارة هو أنه يجب أن لا يكون للجناب الخديوي أي سلطة تخوله التداخل في أعمال الهيئات التنفيذية كالنظارات ولا ادارة الاوقاف والازهر ولا المحاكم الشرعية بمعنى أنه لا ينبغي أن يجعل لتداخله الشخصي أثر ما في الادارة المصرية مطلقا

٢—ويجب أن يشكل مجلس على نسق مجلس الشورى الحالي بوجه التقريب ولكن على نظام أقوم وترتيب أمثل منه وينبغي أن يكون الوزراء وكبار الموظفين أعضاء فيه . وليس هناك ما يمنع من انتظام بعض كبار الموظفين من الانكليز في الحكومة المصرية في سلك أعضائه ويكون من اختصاص هذا المجلس سن القوانين الجديدة

٣—وينبغي أن توضع حدود لتداخل السلطات التنفيذية الذي يدعيه الموظفون الانكليز كالمستشارين وغيرهم لانفسهم حتى لا يكون الموظفون المصريون مجرد آلات صماء لا ارادة لهم ولا رأي يبدونه من تلقاء أنفسهم

٤ — وأن يشكل مجلس ادارة في كل نظارة من النظارات كالحقانية والداخلية مثلا ينتخب اعضاؤه بواسطة المجلس العام المتقدم الذكر وتكون وظيفة كل مجلس من هذه المجالس الادارية البحث في تفصيلات المسائل المهمة ووضع المشروعات والقوانين والنظامات لكل مصلحة من مصالح الحكومة

٥ — وأن يوضع قانون لنظارة المعارف يكون اجباريا بالنسبة للشؤون المتعلقة بالمعارف العمومية والتعليم وينبغي أن يخصص قسم من الدخل العمومي للقيام بنفقات التعليم يكون كافيا لفتح مدارس للتعليم العام وأخرى للتعليم الفني تكفي لسد حاجات البلاد

هذا هو رأيي بوجه عام قد ابديته لكم »

فكتب له المستر « بلنت » بعد ذلك بشهرين يسأله أن يتوسع في آرائه هذه ويضع نموذجا للدستور المروم [illegible] لمصر فأجابه الى طلبه بعد طول روية ومشاورة أصدقائه في ذلك وأخذ آرائهم في هذا السؤال وسؤال آخر عرضه عليه المستر بلنت أيضاً يتعلق بما ينبغي [illegible] الاحتياط [illegible] يتوقع حدوثه من عدم ثقة الجناب الخديوي بالدستور كما وقع من عهد المغفور له والده مما قضى على الآمال الوطنية واستفسر منه أيضاً عما اذا كان من الممكن أن يقبل المصريون تعيين أمير أوربي بصفة وال تحت سيادة جلالة السلطان اذا صعب الحصول على أمير من العائلة الخديوية متشبع تشبعا تاما من الافكار الدستورية

فأجاب المرحوم المفتي على جميع ذلك بالكتاب الآتي

صديقي العزيز المحترم

أهديك عظيم تحيتي وأعتذر لك من ابطائي في الرد على كتابك المؤرخ في ٨ يونيه لأني كنت مشغولا جداً بالامتحان في مدرسة المعلمين والازهر وغيرهما ولم أجد وقتاً خالياً لاجيبكم فيه على كتابكم هذا لا سيما وان موضوعه دقيق الغاية ويعوزه مزيد تروٍ ودقيق نظر

وقد فكرت طويلا وتذاكرت مع بعض أفاضل المصريين فوجدتهم مجمعين على أن من أول الضروريات لحسن الادارة المصرية هو قيام الحكومة

الانكليزية بضمانة النظام في البلاد وكفالته ومعنى ذلك أنها تراقب استتبابه والمحافظة على استمراره وعلى الدستور الذي يمنح لمصر وان لا تدع ذلك الدستور عرضة لتداخل الخديويين

ومتى تمت هذه الضمانة ومنح الدستور لا تبقى حاجة الى نزع سلطة الحكم من عائلة محمد علي ولا الى تعيين أمير أوروبي لا سيما وان تعيين أمير أوروبي لا يصادف قبولا من الاهالي ولا يساعدهم على تحسين حالتهم

أما من جهة الدستور فينبغي أن يراعى فيه ما سأذكره الآن من المسائل الآتية بصفة خاصة

١ ان تناط جميع شؤون الحكومة بسلطة أو اخرى (كذا) من السلطتين الآتيتين :

أولا — تناط بسلطة تشريعية تسن القوانين الادارية والقضائية

ثانيا — تناط بسلطة تنفيذية تكلف بتنفيذ تلك القوانين وان تحصر السلطة التشريعية في مجلس نواب أو وكلاء يزيد عدد أعضائه عن اعضاء مجلس الشورى الحالي وتكون دائرة اختصاصاته اكثر اتساعا بحيث تحترم قراراته وتكون واجبة التنفيذ وأن لا يسمح للوزراء بعدم احترامها ومراعاتها مهما كانت ظروف الاحوال

وهذا المجلس هو الذي يسن القوانين كافة وتنتخب الوزارة من بين اعضائه وان تحصر السلطة التنفيذية في الوزارة التي تخول حق تقديم مشروعات القوانين بحيث لا تستأثر بسنها وحدها لان حق سنها هو من اختصاص مجلس النواب

٢ وان تناط جميع مسائل الحكومة التي ليس لها ارتباط بسن القوانين بالوزارة بما في ذلك منح الرتب والنياشين وأن لا يترك من اشغال الحكومة شيء مطلقا للجناب الخديوي وأن يناط بها أيضا أمر المصالح المختصة بالتعليم الديني وغيره والمحاكم الشرعية والاهلية وتوزيع الرتب والنياشين دون أن يسمح لسموه بأي تداخل فيها مطلقا

---

٣ واذا فرض وكان بعض الوزراء من الانكليز وكان لهم مرؤوسون من المصريين فانه ينبغي أن يعطى هؤلاء المرؤوسون المصريون أو الوزراء الثانويون

سلطة تسمح لهم بان يفصلوا في جميع المسائل المختصة بالدين وما أشبه ذلك تحت مراقبة الوزراء الاصليين بحيث لايكون الموظفون المصريون مجرد ألعوبة في أيديهم كما هو الحال الآن

وينبغي أن تلغى وظائف جميع المستشارين اكتفاء بهؤلاء الوزراء وفي هذه الحالة تقضي الضرورة بان يكون رئيس الوزراء مستقلا بحيث يكون مركزه الرسمي محدودا بوظيفة الرئاسة دون أن يشغل رئاسة نظارة من نظارات الحكومة

٤ وان يكون جميع الموظفين الآخرين في الحكومة من المصريين أعني أن المديرين ووكلاء المديريات وقضاة المحاكم الاهلية ابتدائية كانت أو استئنافية وأعضاء النيابة وغيرهم يكونون مصريين ويجوز تعيين انكليز كمفتشين وتعيينهم أيضا في بعض وظائف في المصالح الهندسية والمعارف وفي الوظائف الصناعية التي يحتاج الامر فيها الى معارف خاصة حين لايوجد فيه مصري متوفر فيه الاحاطة بتلك المعارف الفنية

على أنه يجب في كل حال أن يحصر عمل أولئك الموظفين الاجانب فيما هو داخل ضمن دائرة اختصاصاتهم فقط وأن يكونوا خاضعين لمراقبة الوزراء بحيث لايخولون أقل سلطة ادارية أو قضائية تفضي الى اضعاف نفوذ الموظفين المصريين

(٥) وان يخول أعضاء مجلس النواب الحق في أن يسألوا النظار عن تنفيذ القوانين و ينتقدونهم على ما يفرط منهم من الخطأ أو يقع من الخلل في الاعمال ويتحتم على النظار أن يبينوا أسباب ما يقومون به من الاعمال واذا وقع خلاف بين النواب والنظار يوكل أمر حل ذلك الخلاف الى لجنة تشكل من خمسة أعضاء من مجلس النواب ينتخبون بالاقتراع السري وخمسة آخرين من أعضاء محكمة الاستئناف ينتخبون مثلهم بالاقتراع السري ورئيس المجلس ورئيس النظار ورئيس محكمة الاستئناف ويكون حكم هذه اللجنة بالاغلبية المطلقة

ويجوز زيادة أعضاء هذه اللجنة باضافة أعضاء آخرين عليها من مجلس النواب ومحكمة الاستئناف

واني أعتقد أنه اذا وضع نظام دستوري على هذا النمط رضت الحكومة

الانكليزية لقام بحاجة البلاد ولنالت حكومتها استقلالا لم تعرف له مثيلا

وينبغي أن لاننسى اعادة تنظيم شؤون المعارف والتعليم فانهاتين المسألتين هما من أمس الأمور التي يبدأ مجلس النواب بمباشرة الاشتغال بها   الامضاء

محمد عبده

وبعد فراغه من هذا الكتاب وضع في ذيله الحاشية الآتية

قد نسيت أن أتكلم على الحربية فأقول ان السردار الانكليزي وبعض ضباط الانكليز يبقون في الجيش المصري ولكن يجب أن يشغل المصريون ما بقي من وظائف الجيش واذا فرض وقامت بعض صعوبات بشأن ذلك ورأت الحكومة الانكليزية وجوب وجود قواد انكليز فيه أعني « باشاوات » فلا ضرر في ذلك

قول المنار في الكتابين

قد كثر حديث الناس في هذين الكتابين لما نشرا في جريدة المؤيد المؤيد وغيرهم اتسع مجال الآراء فيهما [illegible] ما استنبط ولخصهما المؤيد بما لخصهما به وزعم أن ما لخصه هو رأي الكاتب وناهيك بتقليد الجرائد في دهماء هذه البلاد

قال المنتقدون ان الكتابين يدلان على بغض كاتبهما للأسرة الخديوية كافة وللأمير الحاضر خاصة . وقالوا ان فيهما تحبيبا للقطن بالانكليز وقالوا بل فيهما مشايعة لهم . وقالوا هذا رأي الكاتب في الدستور المصري وأطلقوا أي انه لو كان الامر كله بيده لرضي لبلاده بما كتبه فيهما . وقالوا ان كاتبهما على غيرية بالقوانين الاساسية للأمم . وأغرب ما قالوا وما كتبوا هو ما أتيا عن استنكارهم سلب السلطة الشخصية من الخديويين بحصر السلطة في مجلس النواب ومجلس الوزراء!! ومن هم المستنكرون لذلك ؟ هم الذين يزعمون أنهم طلاب المجلس النيابي والحكومة الدستورية لمصر !!! يالله العجب

وقد استحسن كثير من العقلاء المستقلين المطالب التي في الكتابين واستدلوا بهما على غيرة كاتبهما على بلاده وأهلها وسعيه في اصلاح حالها سرا وجهرا من كل

طريق وكل منفذ . وأنكر آخرون صحة نسبة الكتابين الى الاستاذ الامام وقالوا انه ليس فيهما شيء من روحه ولا من أسلوبه

واننا نبين حقيقة معناهما الذي حرفته الاهواء عن موضعه الذي وضعته فيه الظروف والاحوال بعد تمهيد نمهده لذلك فنقول :

(١) ليعلم القارىء قبل كل شيء ان ما نشر في الجرائد ليس هو الذي كتبه الاستاذ الامام بل هو ترجمة لأحد محرري جريدة اللواء عن الانكليزية . وما في الاصل الانكليزي مترجم عن العربية . فاذا ظهر الاصل العربي الذي يقول حافظ فندي عوض انه رآه عند مؤلف الكتاب يكون مراد الكاتب أظهر وأصح والحكم عليه أعدل

(٢) ان المراد منهما لا يفهم تمام الفهم الا بترجمة ما كتبه المستر بلنت الى الاستاذ الامام بالحرف لأن الفتوى تكون على حسب السؤال كما هو مشهور ومعروف

(٣) قد علم مما كتب اللواء والمؤيد أن موضوع سؤال مستر بلنت يتعلق بالحالة السياسية الجديدة التي [illegible] في مصر عن ابرام الاتفاق الودي عقب توقيع فرنسا وانكلترا عليه ، فانوقت [illegible] أمست فيها انكلترا معارضة أوربا لها في مصر . فاذا تذكرنا أن كل ما فعلناه من مقاومة الاحتلال ايام كان ضلع أوربا كلها معنا ولا سيما فرنسا لم يزده الا قوة ورسوخا فانا يمكن ان نعقل ان تلك المطالب التي طلبها الاستاذ الامام بعد اتفاق أوربا مع الاحتلال علينا كانت كثيرة جدا وان الانتقاد على هذه المطالب ينبغي ان يكون محصورا في كثرتها وعظمتها حتى جعلت نجاح انكلترا بوفاق ابريل ١٩٠٤ نجاحا لمصر وحرمانا لانكلترا من معظم ما كان لها من النفوذ والسلطة

(٤) ذكر اللواء والمؤيد من موضوع سؤال بلنت كلمة « الدستور المروم إدخاله في مصر » فعلم أن هنالك مشروعاً للدستور يعد في انكلترا فما هو وما موضوعه ؟ أوليس هذا نصا في الموضوع صريحا في أن ما كتبه الاستاذ الامام في جواب مستر بلنت ليس مشروعا وضعه لما يجب أن يكون عليه بلاده مطلقا بل هو مطالب وتعديلات لدستور معين يبحث فيه الانكليز أنفسهم ونحن الى الآن

لم تقف على مشروع دستوري لهم الا مشروع لورد كروص باشاء مجلس تشريعي لمصر مؤلف من جميع الاجانب . وهل يمكن حينئذ أن يطلب لمصر من انكلترا أكثر مما طلب الاستاذ الامام ؟ وقد تقدم أن ما طلبه كثير

(٥) ذكر اللواء فالمؤيد أن مستر بلنت سأل الاستاذ الامام بالتصريح بما ينبغي اتخاذه من الاحتياطات لمنع ما يتوقع حدوثه من عدم ثقة الخديوي بالدستور كما وقع في عهد والده أي أن يكون الدستور مأمونا عليه من حل الخديوي له بله تصرفه فيه باستمالة أعضائه الى ما يريد بالرتب والنياشين أو بغير ذلك . وهذا السؤال لايعقل له وجه الا اذا كان واضعو مشروع ذلك الدستور لايرضون أن يكون للخديويين سلطة عليه بل لايعقل وجود دستور حقيقي يكون عرضة لعبث السلطة الشخصية به . وهل يمكن أن يجاب من هذا الا بتعهد انكلترا بحماية الدستور والحال ان انكلترا هي الواهبة له لتأمن بحسن الادارة المصرية تحت مراقبتها على طريق الهند وتنال هي شرف إصلاح مصر وتنظيمها ؟

(٦) وتقل اللواء فالمؤيد أن مستر بلنت سأل أفاضل يقبل المصريون تعيين وال اوربي عليهم تحت سيادة السلطان ؟ وهذا السؤال مبني على عدم ثقة أولئك المشتغلين بمسألة الدستور المصري بحكم الامراء الشرقيين الذين يعتقدون أنهم أشربوا في قلوبهم الاستبداد حتى لا يكاد يوجد فيهم من يميل الى الحكم الدستوري ويرغب فيه . فهل تنتقد إجابة الاستاذ الامام عن هذا السؤال بأنه لاحاجة الى حاكم اوربي مع وجود الدستور المضمون ومنع الخديويين من السلطة الشخصية ؟ وهل من الانصاف والحق أن يعد طلبه إبقاء الامارة في بيت محمد علي دليلا على بغضهم ؟ ؟ وهل يستنكر عاقل الاحتجاج على من يريدون تولية أمير أوربي علينا بكوننا لا نقبل ذلك وكونه هولا يمكن أن يساعدنا على تحسين حالنا ؟ ما أغرب الرأي الذي يمليه الهوى وتروجه الأغراض الخسيسة

﴿ تلخيص المطالب التي طلبها الاستاذ الامام لمصر

من الانكليز فيما كتب الى مستر بلنت ﴾

(١) أن يكون للمصريين مجلس نيابي تنحصر فيه السلطة التشريعية أي وضع القوانين كلها ويكون له حق سؤال الحكومة عن تنفيذها ومحاسبتها على خطأها

(٢) ان يكون للمصريين سلطة تنفيذية وهي الوزارة المسئولة وتناط بها جميع امور الحكومة لا يترك منها للخديو بين شيء خاص باشخاصهم كما هو شأن الحكومة النيابية في أوربا لاسيما انكلترا

(٣) ان يكون رئيس الوزراء مسلما لا كما كان من قبل تارة وتارة

(٤) ان يكون جميع موظفي الحكومة — من المديرين ووكلاء المديريات والقضاة ورجال النيابة وغيرهم — من المصريين بحيث لا يبقى من موظفي الانكليز الا بعض المفتشين ومن لا يوجد مصري يقوم مقامه في عمله

(٥) تنظيم شؤون المعارف والتعليم وجعلها أهم الامور التي يبدأ مجلس النواب بها

(٦) قيام المصريين بجميع وظائف الجيش بحيث لا يبقى فيه من الانكليز الا السردار وبعض الضباط

(٧) الغاء وظائف المستشارين المسيطرين على الحكومة الآن

(٨) على انكلترا ان تكفل [illegible] الدستور وتضمن تنفيذه بايدي المصريين. وفسر ذلك بأن تراقب استتبابه والمحافظة عليه [illegible] حتى لا يعطله الخديويون

هذه هي المطالب الايجابية الاصلية وأنى لمصر بالوصول اليها والى الآن لم تطمع الاحزاب بمثلها فلم يطالب حزب ولا جريدة شيئا يتعلق بالعسكرية ولا يعقل احد كيف يكون الاستقلال الحقيقي بدون جند وطني يقوم بشؤونه الوطنيون

وهناك مطلوب مهم مبني على فرض وقوع شيء لا يؤمن وقوعه مادام للانكليز شأن في سلطة البلاد بل قد وقع مثله في عهد اسماعيل باشا وهو جعل بعض الوزراء من الانكليز. طلب الاستاذ على فرض وقوع ذلك ان يكون للمرؤسين للوزير الانكليزي من المصريين سلطة يفصلون بها في المسائل المتعلقة بالدين وما أشبه ذلك ولا يكونوا آلة في ايدي رؤسائهم من الانكليز. وهذا مطلب لسنا ندركه اليوم فانه لا يمكن لرئيس ولا مرؤوس في الحقانية ان يجري في المحاكم الشرعية امرا لا يرضاه المستشار القضائي.

واغرب ما سمعت من بعض الاغرار «البسطاء» أن الكتابين تضمنا طلب جعل بعض الوزراء من الانكليز فلما قيل له انه ليس فيهما شيء من ذلك وانما فيهما مطلب مهم مبني على فرض وقوع ذلك بالرغم منا قال انه ما كان ينبغي ذكر هذا الفرض والتقدير لانه يذكرهم بهذا الامر !! فتعجب ايها القاري من هذه السذاجة والغرارة والغفلة عن الواقع والاهتمام بالالفاظ دون الحقائق :

ومما تقدم من البيان يعلم القارىء أنه ليس في الكتابين شيء ينتقد ، وقد سمعت اشهر اعضاء الحزب الوطني حماسة واخلاصاً يقول أنه ليس فيهما شيء ينتقد الاجعل انكلترا كافلة للدستور لان هذا بمعنى الحماية ولكننا لا نشك لاجله في اخلاص المرحوم الشيخ . فقلت له كان يصح أن يقال هذا لو كانت هذه الكفالة من مواد الدستور وكان الدستور مصدقاً عليه من الدولة العلية فيكون حينئذ حقاً رسمياً لها . وليس فيما كتب شيء من ذلك وانما الموضوع ان تسمح لنا انكلترا بهذا الدستور وتكتفي هي عن القبض على أزمة السلطة فينا بمراقبة سيرنا على الدستور والنظام المطلوب ولا تسمح للخديو بان يغيروه اذا حاولوا ذلك . ومعلوم أنها لا تسمح لهم الآن بتغيير ما في التشريع ولا مداخلة ما في التنفيذ مع قبضها على كل شيء وعدم تحملها لتبعة شيء . فأي الامرين أفضل ؟؟

وعلى ذكر رأي عضو الحزب الوطني ان تلك العبارة التي انتقدها من الكتابين لا تدعو الى الشك في اخلاص الكاتب: تنبه الى سيئة فاشية فينا هي من اقبح السيئات واشدها ضررا في الامة الا وهي اتهام كل من نراه أخطأ في مسألة من المسائل العامة بسوء النية وعداوة البلاد وبغض الامة وحب الانكليز ومساعدتهم على ما يقصدون بنا من السوء !! وتفرع عن هذه السيئة سيئة اكبر منها وهي اختراع بعض الناس الخطأ او تكلفهم استنباطه من كلام من يكرهونه لاجل إلصاق تلك التهمة به .

فشو هذه السيئة مع اختها اعظم اسباب تفرق الامة وضعفها وانقسامها على نفسها «كما يقولون» لاسيما بعد توجيه الجرائد هذه التهمة الى الجماعات والاحزاب وليت شعري اي قيمة لهذه الامة اذا صح ما ترجف به بعض الجرائد من اتهام

حزب الامة برمته بعدم الاخلاص للامة ومشايعة المحتلين عليها بعد الارجاف بان ذلك النابغة العظيم « الاستاذ الامام » الذي اعترف بنبوغه الشرق والغرب كان غير مخلص للامة او لاميرها ؟ بل أي تعريض بالأمير اشد من اثبات ان نابغي المستقلين يقاومونه وان جمهورا كبيرا من سراة الامة يؤلف حزبا وينشيء جريدة لمقاومة نفوذه ؟؟؟

قد يقول سائل ان المنار قد ابرز هذه المطالب باسلوب يظهر منه مالم يظهر من ترجمة الكتابين على كونه لم يأت بشيء جديد فهلا كتب المرحوم المفتي كتابيه بهذا الاسلوب الذي يتجلى فيه الاخلاص لمصر والتفاني في خدمتها دون ذلك الاسلوب الذي يلوح منه ارضاء الانكليز واسترضاؤهم ان لم نقل محاباتهم

وجوابه من وجهين « احدهما » اننا لم نطلع على ما كتبه المرحوم بنصه فنحكم على اسلوبه « وثانيهما » انه لم يكتب ليبرهن على قوة محبته لهم ومقاومته لهم في بلادهم ولا ليظهر للانكليز انه مبارز لهم وانما كتب لصديق له يسعى في خير مصر · على انه لو كتب للحكومة الانكليزية نفسها لوجب عليه في شرع البلاغة ان يجعل تلك الكتابة باسلوب يرجى قبوله وعدم اتهام صاحبه بالعداء والمقاومة ولكل مقام مقال

رأى أحد الملوك في النوم ان اسنانه سقطت فعبر له الرؤيا معبر بقوله ان جميع اهلك واقاربك يموتون في حال حياتك فاستاء الملك وعاقبه عقابا شديداً · ثم جيء بمعبر آخر فقص عليه الرؤيا فقال له تأويل هذه الرؤيا ان الملك يكون اطول اهله عمرا : فسر الملك واجازه اجازة سنية · فالبليغ يخاطب كل مخاطب بما يرجو ان يبلغ به مراده من نفسه ·

فمن اصحاب الجرائد من يطلب من الانكليز مطالب بصفة الآمر صاحب صاحب السلطان وما مراده الا ارضاء من يقرأ هذه المطالب فيحمد كاتبها ويجله لانه استعلى على بريطانيا العظمى فأنال الامة من الاستعلاء عليها بالقول مايتلهو به عن الفخر بالاستعلاء أو المساواة بالفعل · ولكنه لايخطر في باله الاسلوب الذي يمكن ان يكون مقنعا او مقبولا عند الانكليز لانه لا يريد منهم شيئا

لو كان الاخلاص والغيرة على قدر كبر المطالب وان كانت من المحال، والتعزز على القوي يتحقق بزخرف وان كان غرورا لامكن كل كاتب ان يكتب كل يوم في اثبات اخلاصه وغيرته وتعززه نحو هذه العبارة :أبي أمرك ايتها الدولة الانكليزية الظالمة المعتدية بان تردي مصر الى المصريين وقبرص الى الدولة العلية بل ان تردي الهند الى التوابين والرجاوات من اهلها وان تأرزي الى جزائرك كما تأرز الحية الى حجرها . فان لم تمتثلي شرفك وتمتثلي هذا الامر فانا نتفق مع بعض أعضاء برلمانك فنؤلف منه لجنة تشاغب المجلس أحيانا في هذه المطالب فتهزه هزا، وتؤزه أزا، او تهز الشعور الوطني في هذه البلاد هزة تميد لها جزائر بريطانيا ميدانا، وتزلزل زلزالا «ربما كان من ورائه البلاء النازل، والخسف العاجل» ؟!

رأي الاستاذ الامام في السياسة

(أو ...)

في مصر افراد من الكتاب يغلون الغلو والرغبة بالغلو في دعوى حب الامة والتفاني في خدمتها بمقاومة المحتلين بالكلام ومن هؤلاء من كبر عليه ماناله الاستاذ الامام من علو المكانة بعلمه وحكمته وخدمته الملة ومنهم من يثقل عليه ان يجله بعد وفاته خلق كثير فهؤلاء يريدون ان يخدشوا ذلك الصيت الحسن والشهرة الشريفة ليرفعوا انفسهم ويحطوا من قدر جاهة ذلك الامام العظيم ولم يجدوا بابا اوسع من السياسة التي يكثر فيها الايهام وتسهل فيها الدعوى ويقبل على مائدتها كل طفيلي يطرد عن مائدة العلم والحكمة - وجد بعض هؤلاء في الكتابين متسعا للقيل والقال ومشاغبة حزب الامة لان رئيسه وكبار المؤسسين له كانوا من اصدقاء الاستاذ الامام والذين لا يزالون يصرحون باجلاله وبكونهم انشأوا الجريدة عملا برأيه

رأى ناهضو هذا الحزب انه يستفيد مما ذكر ميل مريدي الاستاذ الامام وهم أرقى الامة عقلا وعلما وبلاغة فنهم العلماء والوجهاء والمدرسون والكتاب والشعراء فارادوا ان يحرجوه ليتبرأ من الانتماء الى الاستاذ الامام في سياسته

فيغر منهم مريدوه ولكنهم سلكوا مسلك الحق فرضوا بالامام نفسه فجاء سعيهم بنقيض ما ارادوا

وقد كتب بعض الكاتبين يسأل عن حقيقة سياسة الاستاذ الامام ويطلب من مريديه بيانها وهل هي عين سياسة (الجريدة) وحزب الامة وعين ماجاء في الكتابين اللذين نشرها مستربلنت ام ما هي ؟

ونجيبهم عن ذلك بمثل ما قلناه في المنار غير مرة من انه استقر رأيه في اواخر عمره على الاصلاح الديني والاجتماعي والقوي فقط وترك السياسة بقوعندنا كتابة في ذلك بخطه لعلنا نطبع صورتها الفوتغرافية في تاريخه عند الكلام على سياسته

وعند ما كان يشتغل بالسياسة كانت قاعدة عمله مقاومة الاستبداد وجعل سلطة الامة في ايديها بحيث لايبقى لحكامها منفذ للاستبداد فيها

أما الجريدة فهي تنفيذ لفكرة من حيث هي لجماعة من الامة لا لفرد منها وقد كتبنا في الجزء الثاني من منار هذه السنة (ص ١٦٠) أنها تنفيذ لرأيه وزدنا على ذلك قولنا « وان لم تكن كما كان يريد من كل وجه فقد كان يريد ان تكون الجريدة التي دعا في آخر عمره الى انشائها اجتماعية ادبية زراعية اكثر مما هي سياسية وان يكتب فيها كل يوم عن الاخلاق والعادات والتقاليد الفاشيه في البلاد وان لا يكتب فيها عن سياسة الدول اكثر من عمود او عمودين في العدد يلخص في ذلك الثابت الذي فيه عبرة وفائدة للجمهور · وسنوضح هذا في الكلام عن رأيه في السياسة والجرائد من جزء الترجمة الذي نؤلفه ونطبعه الآن فلينتظر محبو الحقائق · ولا مبالاة بأهل الاهواء · ونختم هذه الكلمات بجملة في سياسته كتبها حافظ افندي ابراهيم الاديب الشهير في كتابه الذي سماه سطيح ونشرتها جريدة السياسة المصورة وهي :

بين سطيح واحد تلاميذ الامام

سطيح — أين أنت من القوم — التلميذ — من أولئك الذين نقموا الرضى على العهدين ، ولم يحمدوا مغبة الحكمين ، عهد الدولة التركية ، وعهد الدولة البريطانية ، ففي أولها فشت المظالم وغاضت الاموال ، وفي ثانيها أخصبت الارض واجدبت الرجال —

سطيح — وهل أنت في خفض من العيش ? — التلميذ — لا أشكو بحمد الله

عسراً، ولا أرجو يسراً، وانما أتغنى بقول هذا البيت العربي، لذلك الشاعر الأبي،

مذبذب الرزق لا فقر ولا جدة حظ لعمرك لم يمحق ولم يكس

قال — واين مكانك من العلم، واين منك منزلة الحلم، ؟ قال حسبي أني من تلاميذ حكيم الاسلام، الاستاذ الامام، طيب الله ثراه، وجعل النعيم مثواه

قال — اني لأرى رأياً حصيفاً، وأسمع قولاً شريفاً، فمن أي تلاميذه تكون وقد سمعنا انهم فريقان — فريق قد اختصه بسياسته، وفريق قد اختصه بعلمه، وقد أثنى عليهما العميد، وتنبأ لهما بالطالع السعيد، قال — لا علم لي بما تقول، وقد كنت ألصق الناس بالامام أغشى داره، وارود أنهاره، وألتقط ثماره، فما سمعته يخوض في ذكر السياسة قبحها الله ولكن كان يملأ علينا المجالس سحراً من آياته ويتنقل بنا بين مناطق الافهام، ومنازل الاحلام، ويسمو بأنفسنا الى مراتب العارفين بأسرار الخلائق، وحكم الخالق، وكان ربما ساق الحديث الى ذكر أحوال هذا المجتمع البشري فأفاض في شؤون الاجتماع ومناحي العمران ووقف بنا على أسرار الحياة فان كانوا يسمون تلاميذه أحزاباً ويقسمونهم أسراباً، فتلاميذه حزب العلم والعرفان، وتمائمه سياسة التقدم والعمران

ولكنه كان يمتك بالسياسة ما دعت الى ذلك الحال فيرصد حركاتها، ويرصد غاراتها، خشية أن تقطع على العلم سبيله، وان تقف عثرة في طريق الفضيلة، فلكم تلطف في ابتزاز قواها، وتحامى بجهده طريق أذاها، حتى اذا ظفر بطلبته، وفاز برغبته، واستمد منها ماشاء، تحت حماية الافتاء، عطف على العلم بذلك الامداد، وردعليه ما سلبت يد الاستبداد، ولو لا أنه كان يلادم حبل الوداد، ويحاذيهم فضل النصح والارشاد، لأصابه ما أصاب حكيم الافغان، وقضى على أمة النيل بالحرمان

مات النبي عليه الصلاة والسلام فارتدت طائفة من جفاة العرب وكادوا يفتنون الناس لولا حكمة الصديق وعزمة الفاروق فما غضت الردة من شرف النبوة ولا نالت من عصمة الرسالة ولبث الاسلام اسلاما. ومات الاستاذ الامام فصبأ بعض حزبه كما يدعون، واستغفر الله لهم مما يقولون، فما غض ذلك من كرامة حكيم الاسلام، ولا مس من سيرة ذلك الامام' حافظ ابراهيم

﴿ الرجوع الى المنار في شأن الكتابين ﴾

طلب منا كثيرون بالقول والكتابة ان نبين رأينا في الكتابين ففعلنا وننشر الكتاب الآتي إجابة لطلب صاحبه

سيدي المحترم حضرة اللوذعي الفاضل والاستاذ الكامل السيد محمد رشيد رضا مدير مجلة المنار الزاهي   دام محترماً

سيدي لا يعزب على علمكم ما أتى على صفحات بعض الجرائد السيارة بخصوص جواب المسيو (بلنت) ورد استاذنا المرحوم المصلح العظيم الشيخ الامام عليه ولا يخفى على ذكائكم الفريد ماتقوله ويتقوله حزب الخرافات واعداء أنفسهم من ان الشيخ الامام كان يبغي نقل الاريكة الخديوية من آل محمد علي وأنه كان يريد أو يفكر في جعل ابناء التاميز مسيطرين على هيئة الحكومة ولا تسأل عن اعداء المرحوم بل اعداء الحق الصراح وما عليه عليهم جهلهم لأن الانسان عدو ما جهله

و بعد فأرجو سيادتكم بالعلم المرحوم أن تتحفونا بقلمكم السيال في مطاعة الحقيقة لأنكم من أعلم الناس بتاريخ المرحوم حتى يظهر الصبح في حلته النورانية لذي عينين واستعطفكم بالرضى عن تطفلي على مائدة فضلكم لأن الكل يتغذى من دسامة علمكم المشبع ثم أرجو من فضيلتكم اثبات سؤالي هذا على صفحات مجلتكم الفيحاء وليعلم اعداء المرحوم أن في يدنا أقلاماً لنصر الحق لا تخشى في الحق لومة لائم وفي الختام اقبلوا أزكى الاحترام   السيد محمد الزيات

(المنار) إن المشاغبين في الكتابين من سوء النية واتباع الهوى ما لا يخفى وهم لا بضاعة لهم الا التغرير في مثال ما ذكرتم . وإلا فهم يعلمون ان الدولة الانكليزية مسيطرة على الحكومة المصرية بالواقع ونفس الامر وأنه لا معارض لها ولا منازع في هذه السيطرة كما يعلمون أنهم كاذبون في تقولهم وتقدم بيان الحقيقة

ثم ان هؤلاء المادحين يبيحون لأنفسهم ان يطلبوا من الانكليز باسم مصر بعض المطالب ويمنون بذلك على الامة ويفخرون بأنهم قالوا وفعلوا ولم

يعملوا شيئاً وإنما قالوا كلاما يستطيع ان يقول مثله الألوف . ثم هم ينكرون على من يطلب لمصر شيئا مما يطلبون وان كان خيراً مما يطلبون واقرب الى القبول وذلك لأنهم احتكروا الزعامة وخدمة الامة بالدعوى

فاذا كانت المطالب التي في الكتابين لا ترضيهم فلننتظر منهم حتى يمنحوا مصر بمساعيهم ما هو خير منها سواء كان ذلك بواسطة اللجنة البرلمانية التي لم نسمع منها الا كلمات في الهواء أو بواسطة التبجح والدعوى والاستطالة والتهديد والوعيد للانكليز . عند ذلك نقول لهم ان قولكم كان أنفع وانتم زعماء السياسة، واهل الرياسة، والمستقبل يكشف الحقائق لمن له عين تنظر، وعقل يدرك،

على ان جماعة الاستاذ الامام من اصدقائه ومريديه مجدون في خدمتهم على طريقته فنهم محيي المعارف في الحكومة ومنهم منشئ الجامعة المصرية ومنهم المدرسون على الطريقة الاصلاحية ومنهم ومنهم ولا تبجح ولا دعوى ، ولا من ولا أذى ، والعاقبة للمتقين



نهي الصحابة ورغبتهم عن الرواية

وروى ابن عساكر عن محمد بن اسحاق قال أخبرني صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه قال والله ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعهم من الآفاق – عبد الله بن حذيفة وابا الدرداء وابا ذر وعقبة بن عامر – فقال : ما هذه الاحاديث التي افشيتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآفاق ؟ قالوا « تنهانا » قال اقيموا عندي لا والله لا تفارقوني ما عشت فنحن أعلم نأخذ منكم ونرد عليكم : فما فارقوه حتى مات

وروى ايضا عن السائب بن يزيد قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لابي هريرة : لتتركن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لألحقنك بأرض دوس : وقال لكعب (الاحبار) لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القردة :

وروى عن ابي أوفى قال كنا اذا أتينا زيد بن ارقم فنقول حدثنا عن رسول الله (ص) فيقول كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله (ص) شديد

وروى عن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال بلغني حديث عن علي خفت ان أصاب أن أجده (١) عند غيره فرحلت حتى قدمت عليه العراق فسألته عن الحديث فحدثني وأخذ علي عهدا أن لا أخبر به أحدا ولوددت لو لم يفعل فاحدثكموه

وروى عن عمرو بن دينار قال حدثني بعض ولد صهيب انهم قالوا لابيهم مالك لا تحدثنا كما يحدث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال اما اني قد سمعت كما سمعوا ولكني يمنعني من الحديث عنه اني سمعته يقول « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » ولكني سأحدثكم بحديث حفظه قلبي ووعاه سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول « أيما رجل تزوج امرأة ومن نيته أن يذهب بصداقها اتى الله فهو زان حتى يموت وايما رجل بايع رجلا بيعا

---

(١) كذا في كنز العمال ولعل الاصل : إن أصيب أن لا أجده : الخ

ومن نيته أن يذهب بحقه فهوخائن حتى يموت » ورواه غيره والحديثان المرفوعان فيه مشهوران . وصهيب من السابقين الأولين رضي الله عنه

وروى احمد وأبو يعلى (وصحح) عن عثمان قال ما يمنعني أن احدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا اكون اوعى اصحابه عنه ولكني اشهد أني سمعته يقول « من قال عليّ ما لم أقله فليتبوأ مقعده من النار »

وروى ابن سعد وابن عساكر عن محمود بن لبيد قال سمعت عثمان بن عفان على المنبر يقول : لا يحل لاحد يروي حديثا لم يسمع به في عهد ابي بكر ولا عهد عمر فاني لم يمنعني أن احدث عن رسول الله (ص) أن لا اكون اوعى اصحابه الا اني سمعته يقول « من قال عليّ ما لم اقل فقد تبوأ مقعده من النار

وروى احمد والدارمي وابن ماجه وآخرون من حديث أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يا أيها الناس إياكم وكثرة الحديث عني فمن قال عني فلا يقولن الا حقا وصدقا فمن قال علي ما لم اقل فليتبوأ مقعده من النار » وقد روي عن بعض الصحابة الاعتذار [illegible] الحديث [illegible] عن التحديث او كثرته

وقد فتح الحافظ ابن عبد البر بابا في كتابه (جامع بيان العلم) لبحث ذم الاكثار من الحديث وقيده بقوله دون التفهم له والتفقه فيه قال (كما في مختصره) :

« عن الشعبي عن قرظة (١) بن كعب قال خرجنا فشيعنا عمر الى صرار (٢) ثم دعا بماء فتوضأ ثم قال لنا اتدرون لم خرجت معكم ؟ قلنا اردت أن تشيعنا وتكرمنا . قال وإن مع ذلك لحاجة خرجت لها : انكم لتأتون بلدة لاهلها دويّ بالقرآن كدويّ النحل فلا تصدوهم بالأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا شريككم » قال قرظة فما حدثت بعده حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعنه ايضا قال قال لنا « أقلوا الرواية عن رسول الله (ص) وانا شريككم » وفي رواية عن قرظة ايضا قال خرجنا نريد العراق فمشى معنا عمر الى صرار فتوضأ فغسل اثنتين ثم قال أتدرون لما مشيت معكم ؟ قالوا نعم نحن اصحاب رسول الله « ص » مشيت معنا « لتكرمنا » فقال « انكم تأتون أهل قرية لها دويّ

(١) قرظة بالتحريك بوزن (خشبة) (٢) صرار بالكسر موضع قرب المدينة

بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالاحاديث فتشغلوهم جودوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم امضوا وانا شريككم » فلما قدم قرظة قالوا حدثنا : قال نهانا عمر بن الخطاب

« وعن عروة بن الزبير عن عائشة قالت ألا يعجبك أبو هريرة جاء فجلس الى جانب حجرتي يحدث عن رسول الله (ص) يسمعني وكنت أسبح (تعني انها تصلي) فقام قبل ان أقضي تسبيحي ولو أدركته لرددت عليه ان رسول الله (ص) لم يكن يسرد الحديث كسردكم

« وعن ابي الطفيل قال سمعت عليا على المنبر يقول : أتحبون أن يكذب الله ورسوله لا تحدثون الناس الا بما يعلمون

« وعن ابي هريرة أنه كان يقول حفظت عن رسول الله (ص) وعاءين فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم (والبلعوم الحلقوم) وعنه أنه قال لقد حدثتكم أحاديث لو حدثت بها زمن عمر بن الخطاب لضربني عمر بالدرة » اه

أقول فلو طال عمر [illegible] أبو هريرة [illegible] وصلت الينا تلك الاحاديث الكثيرة عنه ومنها [illegible] حديثا في البخاري ما عدا المكرر

وقد ذكر ابن عبد البر لنهي عمر وهو امير المؤمنين عن التحديث تأويلات (منها) أنه « إنما كان لقوم لم يكونوا أحصوا القرآن فخشي عليهم الاشتغال بغيره عنه اذ هو الاصل لكل علم » وأقول ان ما رواه في ذلك عن قرظة ينافي ذلك فقد نهاهم عن تحديث قوم يحفظون القرآن يتأنون بتلاوته لأصواتهم به دوي كدوي النحل . ولو أراد نهيا مقيدا بهذا القيد لقال لا تحدثوا الا من حفظ القرآن . وقد عزا هذا القول لأبي عبيد قال « وقال غيره إنما نهى عمر عن الحديث عما لا يفيد حكما ولا سنة » وهذا أضعف مما قبله وقد عزاه الى مجهول وماذا يعني قائله بالحديث الذي لا يفيد حكما ولا سنة ؟ أهي الاحاديث عن شمائله (ص) واخلاقه ؟ كيف وهي انفع من أحاديث الاحكام الفقهية ؟؟

ثم ذكر ان بعضهم رد حديث قرظة هذا لأن الآثار الثابتة عن عمر خلافه وذكر من هذه الآثار أمر عمر أن يبلغ عنه أن الرجم مما أنزله الله على نبيه في

الكتاب . أقول وهذا الأثر لا يصلح دليلا لأنه إنما نهي عن اشتغال الناس بالحديث عن الكتاب الذي هو أصل الدين . فاذا ادعى مدع ان عمر ما كان يريد ان يجعل الحديث اصلا من أصول الدين يمكنه ان يقول ان حكم الرجم في رأيه من أحكام القرآن لا من أحكام الحديث غايته ان آيته نسخت تلاوتها فالأمر بتبليغه أمر بتبليغ حكم قرآني فلا يعارض النهي عن التحديث

ثم ذكر وجهاً آخر لرد حديث قرظة وهو معارضة الكتاب والسنن له كقوله تعالى (٣٣: ٢١ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وقوله (٥٩: ٧ وما آتاكم الرسول فخذوه) وقوله (٤٣: ٥٢ وانك لتهدي الى صراط مستقيم) قال ولا سبيل الى اتباعه والتأسي به الا بالخبر عنه .

وقد يجاب عن هذا بأن صراطه المستقيم هو القرآن والسياق يبين ذلك، وأن من يصل بالقرآن يكون متأسياً به لحديث عائشة في صحيح مسلم وغيره « كان خلقه القرآن » وان سنته التي يجب ان تكون أصل القدوة هي ما كان عليه هو وخاصة أصحابه عملاً وسيرة فلا تتوقف على الاحاديث القولية وأما الاكتفاء بما يعلم الرسول فهو في قسمة الفيء ونحوه مما يأخذه الحديث الذي يتفق عليه لا يعارض ذلك

وذكر من امثلة معارضة السنن حديث « نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها ثم أداها الى من لم يسمعها » بناء على جعلهم الاحاديث القولية من السنن وهو اصطلاح للعلماء توسعوا فيه بمعنى السنة فجعلوها أعمّ مما كان يريده الصحابة من هذا اللفظ (السنة) وهي الطريقة المتبعة التي جرى عليها العمل . والحديث يصلح معارضاً للنهي عن التحديث وبينهما يطلب الترجيح . ويقول ابن عبد البر ان عمر كان يريد النهي عن الاكثار لا عن أصل التحديث وهو كما ترى وان الاخذ بالمرفوع مقدم . أقول وههنا شيء آخر وهو اقرار الصحابة لعمر على نهيه وقد يعارضه انهم حدثوا فلم ينتهوا وقد مر بك ان أبا هريرة كان يحدث بعده فكان اجتهادهم اختلف في المسألة

ومما ذكره ابن عبد البر عن عمر في معارضة حديث النهي قوله « تعلموا الفرائض والسنة كما تتعلمون القرآن » فسوى بينهما وعن مورق العجلي عنه قال كتب عمر « تعلموا السنة

والفرائض واللحن كما تعلمون القرآن » . والجواب عن هذا يعلم مما قبله وهو ان تعلم السنة غير التحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فان السنة سيرته (ص) وتعرف من الصحابة بالعمل وبالاخبار كنحو « من السنة كذا » كما كانوا يقولون والتحديث عنه نقل كلامه كما هو المتبادر وان اصطلح المحدثون بعد ذلك على تسمية كل كلام فيه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً وسنة . ومنه تسمية ابن عبد البر نفسه لرواية قرظة التي هي موضوع بحثنا حديثاً . وفسر اللحن في أثر عمر عن مورق فقال « قالوا اللحن معرفة وجوه الكلام وتصرفه والحجة به »

ثم قال وعمر أيضاً هو القائل « خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم » وهو القائل : سيأتي قوم يجادلونكم بشبه القرآن فخذوهم بالسنن فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عز وجل . وأقول ان هديه (ص) ليس موضع اشتباه وأما سننه فلو أريد بها هنا أقواله لكان فيها من الشبهات ما في القرآن او اكثر لان القرآن أعلى بياناً وقد نقل بالحرف والحديث كثيراً ما نقل بالمعنى . فالسنة لا يراد بها الا السيرة والطريقة المتبعة التي توصل بالعمل والعمل لا تعترض فيه الشبهات فلذلك أمر بالاحتجاج عليهم بالسنن . ومثل هذا أمر علي لابن عباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج قال « لا تخاصمهم بالقرآن فان القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاججهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيصاً » اه من نهج البلاغة

ومن العجائب ان يخفى بعض المحدثين احياناً عن الفرق بين السنة والحديث في عرف الصحابة الموافق لاصل اللغة فيحملوا السنة على اصطلاحهم الذي احدثوه بعد ذلك وليس لنا أن نلوم بعد هذا ذلك العالم الفرنسي المستشرق الذي قال لي مرة ان الصحابة كانوا يقدمون الاحاديث على القرآن وذكر لي قول علي لابن عباس فقلت له انه لا يعني بالسنة الاحاديث فانها ذات وجوه تحتمل تأويل المجادلين كالقرآن وانما هي الطريقة المتبعة بالعمل . مثال ذلك احتجاج علي على معاوية وأصحابه بحديث عمار « تقتله الفئة الباغية » فقد أوله عمرو بن العاص فقال : انما قتله من أخرجه يعني علياً ولكن لا سبيل الى تأويل كيفية الصلاة وعددها وكيفية الحج

لأنها ثابتة بالسنة ، ولا يخفى أن السنة بهذا المعنى تشمل ماهو مفروض وما هو مندوب وما هو مستحب كما مر جوابه

هذا وان البحث كبير ولا سبيل الى تحريره واستيفاء فروعه في هذا الجزء فنكتفي بما تقدم في الوفاء بما وعدنا به في الجزء الماضي

وليعلم القارىء ان هذا البحث الاصولي بمعزل عن مسألة اهتداء المسلم بما يصح عنده من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم فتلك الاقوال هي ينابيع الحكم، ومصابيح الظلم ، وجوامع الكلم ، ومفخر الامة على جميع الامم ، بل ان في الاحاديث التي لم تصح اسانيدها من البد ثم ، والحكم الروئع ، والكلم الجوامع ، ماتتقاصر عن مثله أعناق العلماء ، وتكبو في غاياته فرسان الحكماء ، ولا تبلغ بعض مداه قرائح البلغاء ، ولا غرو فان من الاحاديث ماصحت متونه ولم تصح اسانيده، كما ان منها ما أشكلت متونه وان سلم من الطعن رواته ، وأن لدينا بعض ما عندنا من الاسانيد لاقوال حكمائهم ، أو لكتب أنبيائهم ، فنحن يسهل علينا من التمحيص والتحقيق مالا يسهل على غيرنا ، فليتدبر المتدبرون ، وليعمل العاملون ،



حياة اللغة العربية

وبحث الترجمة والتعريب · ونادي دار العلوم

لكل لغة مقومات ومشخصات تمتاز بها على غيرها من اللغات كما تمايز أنواع الجنس وأشخاص النوع · وحياة كل لغة تكون باداء وظيفتها مع حفظ مقوماتها ومشخصاتها · ووظيفة اللغة محصورة في شيء واحد هو تعبير أهلها بها عما يعلمون مهما اتسعت دائرة معارفهم وعلومهم · وقد كان اللغة العربية حياة أدبية في عصر الجاهلية ثم ظهر بها الاسلام فجدد لها حياة أخرى أعلى مما كانت فيه إذ جددها دينا وشرعا وسياسية ومدنية قامت بعلوم لغوية وعقلية وصناعية فوسعت اللغة ذلك كله مع حفظ مقوماتها ومشخصاتها في المفردات والأساليب

ان ما يتجدد للناس من المعلومات ببحثهم او اكتشافهم او بما ينقل اليهم عن غيرهم يظهر في لغتهم بضروب من التصرف فيها كاستعمال الاسماء · ومنها الاشتقاق ومنها الترجمة ومنها التجوز ومنها التعويل في فتح بعض من الاسماء الاجنبية وإدخاله في لغتهم وجعله منها مع تركه على حاله أو مع ضرب من التصرف فيه يكون به مناسبا وملائما لكلماتها في أوزانها ومخارجها وهو ما يسمى عندنا بالتعريب · وكل ذلك من مقتضى حياة اللغة فهو يحصل في اللغة الحية بلا تكلف كما يأكل كل من الانسان الابيض أو الاسود أو الاصفر الشيء المختص بأرض الآخر فيتغذى به بدنه ويبقى هو مع ذلك على لونه ومشخصاته لا يعرض له تغير

ضعفت حياة اللغة العربية منذ بضعة قرون بعد أن صارت قسمين عامية وخاصية · فأما الخاصية وهي لغة العلم والكتابة فصارت متكلفة وخرجت عن كونها ملكة راسخة · واما العامية وهي لا تكون الا ملكة حية في الالسنة فصارت قاصرة على ما يصل اليه علم الاميين ومن في حكمهم من المتعلمين · وصار المشتغلون بالعلم والكتابة ضعافا في ملكتها بقدر مزاولتهم الخاصية التي لم تصر ملكة لهم · فاذا عرض للعوام شيء جديد من المسميات بادروا الى تسميته بلا تكلف كما هو شأن أهل الملكة

في كل لغة فترى المشتغلين منهم بالطباعة (مثلاً) يسمون كل اداة من ادواتها الاعجمية باسم منه العربي ومنه العجمي ومنه المعرب (وسنبين ذلك بعد) ولكن الخواص واعني بهم المشتغلين بالعلوم العربية فانهم يحارون فيا يدرس لهم من ذلك اذ ليس لهم ملكة العامية كالعوام الآن ولا ملكة الحاسية التي كانت لناقلي علوم اليونان

سكت هؤلاء الخواص على هذا النقص زمناً وبحث بعضهم فيه أبحاثا لم يكن فيها غناء . وقد أنشأ في هذا العام جمهور من المتخرجين في مدرسة دار العلوم — وأكثرهم معلمون العربية في مدارس الحكومة — ناديا لهم رأوا أن يكون من فوائد اجتماعهم فيه خدمة اللغة العربية بأكثر مما يخدمونها به في المدارس .

وقد رأوا أن يكون أول عمل يقومون به البحث في هذه المسائل واننا نورد لهم خطابين في مسألة أسماء الاجناس الاعجمية التي يراد ادخالها في اللغة العربية هل تعرب تعريبا أم تؤخذ بالترجمة والوضع الجديد وقد عرف رأينا في ذلك مما تقدم وسنزيده بيانا بعد ايراد الخطابين

خطاب الشيخ محمد الخضري المدرس

(بمدرسة القضاء الشرعي)

أيها السادة

ينبئنا التاريخ ان اللغة العربية كانت لآخر القرن الثاني عشر قد وصلت الى منتهى الضعة وكادت تصبح أثرا دارساً ولولا رجلان فكرا في احيائها ووجدا من خيرة الاعوان من كان شعارهم الاخلاص والجد لكنا اليوم على ما كان عليه سلفنا في أواخر ذلك العهد

أما أولها فمحمد علي باشا مؤسس الاسرة الخديوية زادها الله تشريفاً وتكريما فانه وجد المرحوم رفاعة باشا وتلاميذه بعد ان زج بهم في مضمار الحياة فساروا شوطا بعيداً ووضعوا الحجر الاول في نهضة اللغة كتبوا وترجموا شيئاً كثيرا أبقته لنا الأيام دليلا على اخلاصهم ثم على مقدرتهم واستعدادهم لم يتركوا فنا من الفنون التي كنا مستضعفين فيها الا كتبوا فيه ترجمة أو من عند أنفسهم .

وأما الثاني فهو صاحب الدولة المخلص في خدمة بلاده مصطفى رياض باشا

وجد الاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده وتلاميذه ورجال النزعة من ناشئي السوريين فقاموا بالنهضة الثانية عهد الى المرحوم اصلاح الوقائع المصرية والاشراف على مايكتبه أرباب الدواوين في محاوراتهم فكان ذلك منبها لهم أن يعتنوا باصلاح مايكتبون وتعلم مايجهلون، ومن أكبر مساعد لتلك النهضة الجرائد العربية على اختلاف مذاهبها ومشاربها فهي التي رفعت من قدرها وساعدت على رقيها بما كان يبذله أصحابها من الهمة في اختيار اللفظ والاسلوب سواء في ذلك فاضلهم ومفضولهم ·

اذا دبت الحياة في جسم فانها لاتقف عند غاية فان صاحبها دائما يرجو الكمال وهو أبدا بعيد من الانتظار كذلك نحن الآن فانا في بدء نهضة ثالثة يأخذ بيدها ويشد ازرها ذو السعادة الوزير المخلص سعد زغلول باشا ناظر المعارف العمومية في عهد مولانا وسيدنا أمير مصر عباس باشا حلمي الثاني فهو مؤيد النهضة الثالثة كما كان جده مؤيد النهضة الاولى

تلك النهضة أن تكون اللغة العربية لغة التعليم والعلم والكتابة والتكلم ينبت فيها الصغير ولا يحمل بوزنها الكبير والاعوان اليوم أكثر منهم أمس فان البذور التي غرست قد أثمرت في كثير من الانفس العلية فصارت من أنفسها تطلب الغايات وترقب الكمال والمعونة من مثل هؤلاء أعظم

هذا المطلوب أيها السادة عزيز المنال وعر المسلك فلا بد للوصول اليه من عزيمة صادقة يقودها العقل الصحيح لتهيئة الطريق حتى لا تلتوي علينا المقاصد فتظن أنفسنا سائرين للامام ونحن للخلف راجعون · ننظر أمامنا فنجده عقبات كثيرة لا بد ان نقدرها قدرها حتى يمكننا تذليلها عقبات كثيرة لا يتسع المقام لعرض احصائها الآن لاني أقتصر على عقبة واحدة جعلت مجال البحث بين أيديكم

يجئنا محدثات كثيرة تصل بلادنا على أيدي المخترعين الذين قدروا بجدهم ان ينتفعوا من كل ما خلقه الله سبحانه للانسان ولم يكن آباؤنا قد عرفوها حتى

يعدوا لها العدة من الاسماء المبينة لمسماها فتقف أمامها مبهوتين لا ندري كيف نعبر عنها ، وقد كتبنا وقف بنا القلم عندها حائراً فمنا من يكتب اللفظ الذي وضعه المخترع ويحيطه بقوسين علامة على أنه ليس من لغتنا أو بعبارة أوضح علامة على نقص اللغة ونفورها من كل جديد ومنا من يحتال لذلك فيؤدي المعنى بكلمة وضعها العرب بازاء مسمى آخر وما يجده الكاتب يجد مثله المتكلم

لا يتفق الناس على شيء يتبعونه وهـذا نقص عظيم يجب أن نتلافاه وأن نتفق على ما نستعمله لذلك وضعنا موضع البحث هذا السؤال : ما هي الطريقة المثلى للدلالة على المحدثات ، أتعريب ألفاظها التي يضعها لها محدثوها ونقلها حتى تكون موافقة للهجات العرب أم التوسع في بعض الالفاظ العربية ووضعه بإزائها .

وقبل الافصاح برأيي في هذه المسألة أبين لحضراتكم كيف كان العرب المتقدمون يعملون اذا عرض عليهم شيء محدث من طريق غيرهم

ولا أريد أن أتوسع في البحث الى ماوراء أسماء الاجناس فان اللغة العربية عندها من الثروة في الاسماء الدالة على المعاني ما لا تحتاج معه الى استعارة من غيرها أما أسماء الاجناس [illegible] مسمياتها والعرب كما تعلمون كانوا فقراء جداً من هذه المواد فانهم أهل بادية وحاجات المتبدي قليلة اذ ليس أمامه الا سماؤه وأرضه وبهمه وسلاحه ووجدانه فمن المعقول أن يتفنن في وضع ما يدل على أجزاء ذلك من الاسماء . أما ادوات الحياة مما تخرجه الصنعة وتبدعه الفكرة فهو منها بعيد وقلما يتلقى باديهم شيئاً منها عن بلاد أخرى لانهم انقطعوا عن الامم أو كادوا

فاما الحاضرون منهم وهم سكان ريف العراق ومشارف الشام واليمن فقد كان لهم من جوار الفرس والروم ما جعلهم يتلقون كثيراً من الادوات فتسوقهم حاجة التعبير والابانة عما في النفس الى ان يكون لذلك الشيء الذي استعملوه لفظاً يعبر عنه والمعقول في اختيار اللفظ للمعنى ثلاث طرق

الاول الوضع الجديد وهذا لامجال للكلام فيه لان الاقدمين ما عولوا عليه وليس بيننا من يقول به على ما أظن وسبب هذا فيما أعلم ان أحرف اللغة العربية

قد شغلتها الاوضاع فقلما تركب ثلاثة أحرف الا وجدنا مجموعها قد وضع واستعمل اللهم الا حروفاً قلائل لستثقل العرب جمعها في كلمة واحدة ومثل الثلاثة الاربعة والخمسة

الثاني التوسع في الاستعمال وهو المراد بالتجوز بأن يكون اللفظ قد وضع بازاء مسمى ولمناسبة بين المسمى القديم والجديد يستعمل ذلك اللفظ في المعنى الجديد ككلمة تأمور فانها في أصل اللغة القلب لأنه وعاء الدم ثم توسعوا فيها فجعلوها لكل وعاء فاذا جاءهم أي وعاء على أي شكل استعملوا فيه لفظ تأمور ولا يأخذون عن غيرهم شيئاً حتى يتركوا كلمة ابريق التي وضعها صناعه لتدل على شكله الخاص به و يبحثون في كلامهم القديمة عن لفظ قديم يدل على ما يشبه الدينار والدرهم فيستعملونه فيها ولا يأخذونها

الطريق الثالث التعريب وهو أن يأخذوا [illegible] الشيء المسمى واسمه بعد ان يصقلوه بألسنتهم حتى يكون خفيفاً عليها مناسباً للهجتها وهذا هو الطريق المعقول الذي اتبعه [illegible]

مضى على [illegible] قبل الاسلام وهي تتناول الالفاظ الدالة على الاجناس من واضعيها وتلحقها بلغتها من غير ان يقف في طريقها معارض

أخذوا الدينار والدرهم وألحقوهما بأبنيتهم واشتقوا منهما فقالوا فرس مدنر أي فيه نقط كالدينار وقالوا دنر وجهه أي تلألأ ودينار مدنر أي مضروب ودنر فلان كثرت دنانيره وقالوا رجل مدرهم كثير الدراهم ودرهمت الخبازى صار ورقها كالدراهم . وأخذوا اللجام واشتقوا منه فقالوا ألجم وملجم ولُجُم وتجوزوا في استعماله فقالوا للتقى ملجم لانه يقيد اللسان ويكفه كما يفعل اللجام بالدابة

أخذوا من الصناعات الاستبرق والسندس والاساور والابريق والطست والخوان والطبق والخز والديباج والسندس والهندسة والمهندس . واخذوا من النباتات النرجس والبنفسج والنسرين والسوسن والياسمين والجلنار والزنجبيل والقرفة والفلفل والكراويا والعنبر والكافور والصندل الى غير ذلك مما أحصاه نقلة اللغة

وكانت قاعدتهم في التعريب على جهتين الجهة الاولى أن يلحقوا الكلمة

بأبنيتهم ومتى صارت الكلمة كذلك عدت من اللغة وحكم عليها بما حكم على بقية الكلام فيشتقون منها وكانوا يبدلون حرفا مكان حرف لتقارب مخرجيهما كما فعلوا في لجام وكان أصله لغام بالغين والميم والغين متقاربان مع سهولة الجيم واذا كان الحرف بين كاف وجيم جعلوها جيما لقربها منها ولم يكن بد من ابدالها لان ذلك الحرف ليس من كلامهم فقالوا جربز وآجر وجورب وربما جعلوها قافا لانها قريبة أيضا فقالوا قربز ويبدلون مكان آخر الحرف الذي لايثبت في كلامهم الجيم فقالوا كوسج وساذج وأصل ذلك كوسه وساده كما تنطق به نحن الآن ويبدلون مكان الحرف الذي بين الفاء والباء الفاء فقالوا الفرند والفندق وربما جعلوها باء فقالوا برند فالبدل مطرد في كل حرف ليس من حروفهم يبدل منه ماقرب منه من الحروف الاعجمية

والجهة الثانية ان يبقوا الكلمة على وزنها عند الامة ذات الشأن في وضعها كما فعلوا في الابريسم والاعلام ... كثير من الاعلام وقصدهم من ذلك ألا يبقى هناك ... في النطق بين النطق الاصل والاعجمي وتشبه العربي حتى يكون ... العربي في النطق

جاء القرآن الكريم وهو البالغ من الفصاحة مبلغ الاعجاز ووصفه الله سبحانه بأنه لسان عربي مبين فاستعمل كثيرا من الالفاظ التي عربتها العرب وهذا اقرار من الله سبحانه على طريقة التعريب

استعمل القسطاس والاستبرق والفردوس والمسك والكافور والزنجبيل والسندس والابريق والمشكاة واليم والطور وما شاكلها وقد الف فيما عرب واستعمله القرآن من الالفاظ استاذنا الحافظ اللغوي الشيخ حمزة فتح الله كتابا جمع فيه من ذلك كثيرا . وقد نقل عن ابن عباس ترجمان القرآن وكثير من التابعين وأهل اللغة والفقهاء ان هذه الالفاظ من لغات العجم سقطت الى العرب فاعربتها بألسنتها وحولتها عن الفاظ العجم الى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الكلمات بكلمات العرب وهذا الذي حمل لبعض أهل العربية ان يقول ان القرآن خلو من كلام غير العرب لان مارضيته العرب من

الكلمات بعد تعريبه صار عربيا مبينا وألحق بأحرف اللغة فلاحرج في استعماله بعد

ومما أزيدكم به بيانا أيها السادة ان بعض الالفاظ التي عربها العرب موضوعة لاشياء تشابه ماله اسم عربي ولكنهم اختاروا الاسم الاعجمي لدلالته على شكل خاص للمسمى كما أخذوا كلمة ابريق وعندهم التامور وأخذوا كلمة البط وعندهم الاوز الصغار والكبار وأخذوا الهاون وعندهم المهراس والمنحاز وأخذوا الطاجن وعندهم المقلى والميزاب وعندهم المثعب وهو مسيل الماء في الوادي والسكرجة وعندهم الثقوة والمسك وعندهم المشموم والجاسوس وعندهم الناطس والاترج وعندهم المتك

وذلك لاسباب قوية منها ان اللفظ الذي عندهم عام واللفظ الجديد خاص فتكون دلالة ماعندهم على المسمى ضعيفة

هذا هديهم قبل الاسلام — أما بعد الاسلام فان العرب حينما جدوا في العلوم وأرادوا أن تكون اللغة العربية لغة علم كما هي لغة قوم ولغة دين ترجموا اليها كتب العلم التي وصلت اليهم من امم الروم والفرس واتبعوا تلك الطريقة نفسها فكانوا يأخذون الاسماء كما هي ويستعملونها في كتبهم وينطقون بها كأنها من لغتهم ووجد من هذا شيء كثير خصوصا في الطب والحكمة والهندسة ولم يلتفتوا الى الرأي الذي يقول بالرجوع الى الوراء واستعمال الالفاظ التي أماتها الزمن لعدم صلاحيتها للاستعمال أو المستعملة في معان أخرى

والفقهاء أنفسهم لم يحجموا عن أخذ الالفاظ من غير اللغة العربية وتعريبها يلزم من اتباع رأي التجوز مضار أحدها ان اللغة وضعت لتدل على مافي النفس حتى يفهم السامع تمام ماتريد واشتراك الالفاظ في المعاني مما يخل بأصل المقصود والتجوز لابد فيه من اقامة القرائن على ارادة مااستعمل اللفظ فيه وهذا وذاك كثيراً ماوقفنا حيارى في فهم المراد من بعض الالفاظ فهل نريد بعد ذلك أن نضيف الى آلامنا آلاما

يقولون ان الحق في التعريب انما كان لامة سلفت وبادت فلم يبق لها من أثر وإن ماكان يباح للاعراب في بواديهم على قلة حاجتهم لا يباح مثله لنا في القرون المتأخرة على كثرة الحاج وهذا كله بنوه على قاعدة لا أساس لها وهي

تشبيه اللغة بالدين في التمام فكما ان الله سبحانه أتم دينه الذي انزله على رسوله صلى الله عليه وسلم فكذلك العرب قد أتمت وضع لغتها ولم يبق من بعدهم من يحق له ان يضيف اليها كلمة جديدة كما انه ليس لمسلم ان يضيف على دينه حكما جديدا

لكن الفرق بين الامرين ظاهر فان الدين وضع آلهي شرعه من له حق التشريع والالزام وهو الله سبحانه وأتم وضعه على قواعد راسخة وآساس ثابتة فلم يبق لاحد مجال أن يزيد على هذه القواعد أو ينقص منها أما اللغة فالمقصد منها الابانة والافصاح وهي من وضع الافراد تتجدد بتجدد الحاجات

وليس من قصدي أن ابحث الآن في أمور اللغات أهي توقيفية أم وضعية فان ذلك مما فرغ منه العلماء وانتهى بهم البحث الى الرأي الثاني حتى أن كثيراً من أصحاب الرأي الاول قالوا ان المراد بما وضع أولا هو الكلمات التي تدل على مثل السماء والارض والهواء مما هو موجود منذ وجد الانسان أما ادعاء ان الالفاظ الدالة على المخترعات والمحدثات مما علمه الانسان الاول آدم صلوات الله عليه فهو مكابرة للمحسوس

ومتى ثبت انها تتجدد بتجدد الحاجة فالمحتاج من المتمسكين بها متى علم أصولها وطبيعتها له حق التعريب بالضرورة كما كان هذا الحق لسلفه

ولا أدري ما الفرق بين من علم اللغة تلقيا من أبيه وأمه و بين من علمها من معلم ثم تدبرها واعتادها بعد ذلك في كلامه وكتابته حتى صارت له ملكة يمكنه أن يقف ساعة فيخطب بها من غير ان يحيد عن طريقها ويكتب كتابا صحيحا يقرأ في ساعات أو أيام

ان اخواني الذين يخالفونني في الرأي ويقولون بالتوسع في استعمال المفردات لا يمنعون من تغير الاوضاع والدلالات العربية فهم لا شك يتفقون معي في أن حق التغيير للحاجة ثابت لنا ومتى اتفقنا على نيل هذا الحق لم يبق الا التخير بين سهل وأسهل ومفيد وتام الافادة ولا مراء في أن اللفظ الذي يوضع واضعه للدلالة على شيء اخترعه أسهل في الدلالة وأتم في الافادة لانه وضع بازائه تماما كالوضع

لفظ الابريق بازاء تلك الاداة التي نعرفها بخلاف الكلمة التي نتصيدها من موات اللغة فانها اما أن تكون موضوعة لشيء هو أعم فنخصصها ويلزمنا إيجاد القرينة للدلالة على ما نريد فنحتاج الى لفظ وقرينة واما أن تكون مستعملة في شيء فيه مجرد مشابهة كما بين الاتوموبيل والسيارة فنحتاج لاستعمال لفظ واحد للدلالة على معنيين أو معان كثيرة فالسيارة استعملت للدلالة على معنى هو القافلة أو الركب فاذا قلت جاءت سيارة هل يفهمني المخاطب بمجرد لفظي ؟ أظن لا بل لا بد مع ذلك من كلمة أخرى مبينة للمراد

لا أدري ما المانع من أن يدخل في اللغة الترام و يقال أترم ومترم كما قالوا لجام وألجم وملجم. إن الكلمة التي تريد اصطيادها قد وضعها واضعها بالضرورة لتدل على معنى خاص فاذا نحن أخذناها واستعملناها في شيء جديد لم تكن قد جرينا على لغة العرب لاننا خالفنا أوضاعهم ومقاصدهم فهم وضعوا يشكى ويجرى مثلا للناقة السريعة فاذا جعلنا كلمة منهما بازاء الترام تكون بلا شك وضعنا وضعاً جديداً لم يسبقنا اليه سابق [illegible] هذه [illegible] لمحفوظ اللغة كوضع ألفاظ جديدة مولدة [illegible] فشيئين في الاعتراض على رأيهم أن نقول للترام يَشْكَى وان نقول له ترام لان كلا استبداد بوضع اسم لمسمى لم يكن له وجود قبل الآن الا أن وجه الضرر في الأول ظاهر كما يتضح وجه المنفعة في الثاني فانا في الاول نجري على خطة لا أساس لها مع وصف الخروج عن أوضاع المتقدمين وفي الثاني نجري على خطة اتبعها سلفنا مع الوضاحة التامة في الاسم والمسمى ولا أدري بعد ذلك ما الذي يدعونا الى تعسف الطرق

لعلهم يرون في ذلك رأيا فيقولون انا باتباع الطريق الاول حافظنا على ما بين دفتي القواميس فلم نحد عنه قيد شبر ولم نخرج عما نطق به العرب في بواديهم وفي ذلك من احترام الآباء واقناع الناس بغنى اللغة العربية وثروتها حتى لا يهزأبنا هازىء فيقول ان لغة تربو عدة كلماتها على الثمانين ألفا محتاجة الى ما يكملها ويسد ثلمة فيها

أما دعوى أن هذا محافظة على ما هو عندنا فغير صحيحة لأنها إنما تكون

بالمحافظة على الاسم والمسمى الذي وضع اللفظ بإزائه واذا لم نفعل ذلك كنا قد خيلنا على الناس تخييلا لا قيمة له وارتكبنا في التعبير من أوضاع القواميس مالا يخفى لانا اذا كتبنا لفظا من هذه الالفاظ التي اخترنا التوسع فيها واستعمالها لشيء جديد أنذكر في قواميسنا معنييها القديم والحديث فنكون ابتدعنا وأوقعنا السامع والمتعلم في حيرة أم نترك ذكر المعنى القديم ونقتصر على الحديث ووصف هذا بالافساد في لغة المتقدمين واضح لا يحتاج الى بيان وخير منه أن نذكر لفظ ترام مثلا بعد الاتفاق على لفظها ونذكر بجانبها معناها وانها مما عرب للدلالة عليه ونبين تاريخ تعريبها فيكون ما وضعه المتقدمون معروفا وحده وما ألحقه باللغة المتأخرون معروفا وحده وهذه هي المحافظة الحقيقية على ما ورثناه من سلفنا

واما أن يغتر مغتر بكثرة ألفاظ اللغة حتى لا نحتاج الى مزيد ففيه غلطتان كبريان فان الثروة المزعومة لا نقول بها لانا ان طرحنا منها المترادف ما وجد معنا بعد ذلك أكثر من الثلث لهذا العدد فكثيرا ما تجد المعنى الواحد له اسمان فأكثر الى خمسمائة اسم كما قالوا في السيف والخمر والعسل وما شا كل ذلك وهذه ليست بثروة

والثروة التي أسلم بها انما هي في أسماء المعاني وليست داخلة في موضوع بحثنا

واما عدم الحاجة الى مزيد فهذا لا تدعيه لغة من لغات الامم الحية لان الامم كلما كثرت حاجاتها وتجددت اضطرت الى المزيد من الالفاظ في اللغة وهذا هو سر الحركة الدائمة في لغات الافرنج ترون مجامعهم في شغل دائم لا يأنفون أن يجدوا يوما ما في لغتهم كلمة زائدة دلت على معنى جديد وأكثر أحوالهم الاستعارة من غير لغتهم واذا كنا نرى عقولنا قد وقفت عن الاختراع فانا نرى انفسنا في حاجة الى استعمال المخترعات والتعبير عنها

نرى رجال الجرائد وهم الذين يرجع اليهم معظم الامر في الاحياء والاماتة للالفاظ قد عرض عليهم في بعض الاوقات كثير من الالفاظ فهجروه واستمروا على استعمال ما وضعه لواضعون في جرائدهم فلا يزالون يستعملون تلفون مع انه قد ترجم لهم بكلمة «مسرة» ولم أرها في جريدة من الجرائد يوما واحدا ويستعملون

أوصيل ولا يستعملون سيارة لئلا يختلط عليهم الامر ان السيارات السماوية والسيارات الارضية الى كثير مما يماثل ذلك ومذا اعترف منهم أو على الاقل شعور بأن طريقة الترجمة والتوسع ضررها اكثر من نفعها وأن طريق التعريب أوضح مسلكا

(النتيجة)

بعد ان بينت لحضراتكم ما قام في نفسي على لزوم السير في طريق التعريب أقدم لحضراتكم مقترحي حتى تتداولوه بالبحث ليتمحص الحق

(١) تكوين مجمع يعهد اليه التعريب ينتظم ممن حيث فيه ملكة اللغة العربية ومهر في معرفة مفرداتها ولهجاتها وانما لزم وجود المجمع لانه لاضرر علينا وعلى لغتنا أشد من استبداد الفرد بالوضع أو التعريب اذ هو مدعاة للاختلاف وهو أضر شيء

«٢» أن يكون اختصاصه محصورا في دائرة أسماء الاجناس والاعلام فاذا جاءه مسمى حديث أو رأى شيئاً جديداً [illegible] ولم يسبق ان وضع له لفظ ورأى أن في لغة العرب [illegible] والا عرب الكلمة الاعجمية وصيرها موافقة لاوزان العرب سهلة على ألسنتهم واتفق على حروفها وشكل كتابتها وأخرجها للناس بواسطة الجرائد التي هي الآن كعكاظ في العصر الاول وهي الواسطة في التعليم والاظهار

والواسطة الثانية رجال التعليم الذين اليهم ينظر من عنده أمل في تحسين اللغة واصلاحها وخصوصا معلمي العربية منهم

(٣) ان يكون للمجمع سجل تقيد فيه هذه الكلمات وازاءها مسمياتها موضحة تمام التوضيح وأحسن ذلك ما كان بالرسم وتشكيل المسمى ويكتب امامها التاريخ الذي وضعت فيه واذا كتب قاموس من القواميس تكتب هذه الالفاظ بصفتها ملحقات للكلمات العربية ويكتب معها تاريخ تعريبها لكي يبقى الاصل محفوظا على حدة والمعرب وحده على حدة

هذا ما امكنني أن أورده لحضرتكم أيها السادة في هذا الامر العظيم راجيا أن تنظروا اليه بعين عنايتكم حتى تخلصونا من شر نحن فيه وأنا وأنتم محصورون به ولا تجعلونا في هذا الدور من أدوار الحياة كالغريق يلتمس ما يخلصه ولا يجده. هذا وأسأل الله سبحانه أن يؤيد بروح من عنده مولانا أمير البلاد وسيدها الذي هو عضد كل نهضة نافعة أبقاه الله وأطال عمره والسلام عليكم ورحمة الله محمد الخضري

المدرس بمدرسة القضاء الشرعي

(المنار) نشرنا هذا الخطاب بنصه الا كلمات قليلة صححناها لجزمنا بأنها كتبت خطأ بسهو من الناسخ ونحن نوافق صاحبه في جواز التعريب ونخالفه في منع ما عداه وفي جعل عمل المجمع اللغوي محصورا في تعريب الاعلام واسماء الاجناس فاننا في حاجة عظيمة للبحث في الاصطلاحات العلمية الكثيرة (؟) فلا بد من جعل موضوعه أعم مما ذكر كما علم ذلك من مقدمتنا التي قدمناها على الخطاب، ولا نبحث هنا فيما عدا الموضوع المقصود من الخطاب (ومنها) اغفال ذكر توفيق باشا عند الكلام على النهضة الثانية فمن عنايته لم يكن أقل من (؟) النهضة الاولى من محمد علي باشا والنهضة الثالثة من عباس حلمي باشا (؟) كل أمير من الأمراء الثلاثة استلزم عملا فكان العمل بقدر استعداد العاملين وليبان هذا موضع آخر وقد فصلناه في تاريخ الاستاذ الامام تفصيلا

(ومنها) قوله في كلمات اللغة العربية انها تربو على الثمانين ألفا وقوله بعد ذلك انا اذا طرحنا المترادف ما وجدنا منها بعد ذلك أكثر من الثلث لهذا العدد. وكأن القول الاول سبق الى قلمه من قول بعضهم ان مواد كتاب القاموس ستين الف مادة وان ابن منظور زاد عليه في لسان العرب عشرين الف مادة مع السهو عما في كل مادة من الاسماء الجامدة والمشتقة والافعال. وقد نقل السيوطي في المزهر ونقل عنه الزبيدي في مقدمة شرح القاموس ان المستعمل من الكلام نحو خمسة ملايين ونصف أو يزيد. ولا حاجة هنا للخوض في ذلك ولا في بحث المترادف ونسبته الى سائر الكلام، ولا في غير ذلك مما يتعلق بهذا المقام، وسننتقل في الجزء الآتي خطاب الشيخ احمد عمر الاسكندري ونأتي بعده بما يمن لنا ان شاء الله تعالى

يعدون الشعوب الاسلامية من الشعوب الميتة او الضعيفة ولكن منهم من يقول ان جراثيم الحياة كامنة فيها ، ويعدون فرنسا من اعظم الامم الحية ولكن منا ومنهم من يعتقد أن مكروبات الضعف والانحطاط كامنة فيها. فنقول على هذا وذاك ان المسلمين محتاجون الى دولة كفرنسا تساعدهم على الحياة الجديدة في شمال افريقية وان فرنسا محتاجة الى حفظ حياتها القديمة و إمدادها بشعوب قابلة للحياة والقوة كالمسلمين . وان هذا المطلب ممكن في نفسه ولكن فرنسا غافلة عنه لأن القوي المغرور قلما يفكر في حقيقة حال من يراه دونه فهذه عقبة دون المطلب ومن ورائها عقبة اخرى وهي ان الضعيف قلما يؤمن باخلاص القوي له فالمسلمون الى اليوم لا يظنون أن فرنسا تريد بهم خيرا وهم معذورون بهذا وإنني أصرح به نصحا لفرنسا ورغبة في حسن التفاهم بيننا وبينها لعل في ذلك فائدة لنا ولها . فما قلته هو الحقيقة وان وجد في المسلمين من أحسن القول في فرنسا كما وجد في الفرنسيين من أحسن القول في المسلمين فتلك الاقوال لم تغير الحقيقة ولا يغيرها شيء وانما تغيرها الاعمال والمسلمون الذين تسوسهم فرنسا لا يستطيعون ان يستميلوها بعمل أكثر مما هم عليه من المسالمة لها [illegible] نعلم أن استمالتهم وان تملك قلوبهم وأرواحهم كما هي مالكة لأبدانهم وأوطانهم فهي التي يجب عليها الابتداء بالعمل

ربما يظن بعض المغرورين بقوتهم ان حال الجزائر خفية لا يعرف حقيقتها مسلمو مصر والشام والحجاز وسائر المشرق . الحق أقول لهؤلاء ان تلك الحال ليست مخفية فانا نعرفها ونشعر بشعور أهلها ولكن ما كل ما يعلم يكتب وانما كتبنا الآن هذه الكلمات لما رأينا من بارقة لأمل في حسن التفاهم والسعي اليه بالعمل

لا نطلب من فرنسا للمسلمين اكثر مما أشار اليه مسيو ميلي وهو السعي في تعليمهم وتربيتهم بالقيد الذي ذكره والشرط الذي اشترطه وهو ان يكون القصد تقدمهم بما يلائم طباعهم لا إلزامهم بنظامات فرنسا وعاداتها فضلا عن شرائعها ودينها فالمطلوب مساعدتهم على احياء لغتهم ودينهم وإنماء ثروتهم مع تعليمهم العلوم والفنون العصرية بالتدريج الملائم لحالهم

يسهل هذا على فرنسا اذا قنعت من الاستعمار والامتلاك بما دون تحويل

آثار علمية أدبية

﴿ اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب ﴾

سئل الشيخ محمد مصطفى أحد علماء الجزائر عن حكم الزينة واللباس في الاسلام وعن حكم احتجاب المرأة فأجاب من ذلك بنحو خمسين ورقة وطبع ما كتبه وأهدى الينا منه نسخة فتصفحنا منها أوراقا من مواضع مختلفة فلم نجد الا قولا قويما واختيارا في النقل حسنا والمؤلف أدام الله النفع به منتبه لحركة العلم واقف على سير الاصلاح الديني والاجتماعي وهو ينقل في مقالته هذه وفي غيرها من تصانيفه عن كتب الاستاذ الامام وعن المنار نقلا تدل على دقة الاستقصاء وحسن الاستحضار ومراعاة حال العصر وتطبيق الاحكام على مقتضى الحال ومن نقوله واختياره في مسألة الحجاب ما يأتي

« وقال (يعني الآلوسي) في تفسير سورة النور المشهور من مذهب أبي حنيفة ان الوجه والكفين والقدمين ليست بعورة مطلقا فلا يحرم النظر اليها . وقد اخرج أبو داود وابن مردويه والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال « يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح ان يرى منها الا هذا وهذا » وأشار الى وجهه وكفيه صلى الله عليه وسلم . وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى « الا ما ظهر منها » : رقعة الوجه وباطن الكف : وأخرجا عن ابن عمر انه قال الوجه والكفان : ولعل القدمين عندها كالكفين الا انها لم يذكراها اكتفاء بالعلم بالمقايسة فان الحرج في سترها أشد من الحرج في ستر الكفين لاسيما بالنسبة الى اكثر نساء العرب الفقيرات اللاتي يمشين لقضاء مصالحهن في الطرقات » اه

« وقال المحقق ابن عابدين في رد المحتار على الدر المختار ما نصه : وفي شرح الكرخي « النظر الى وجه الأجنبية والحرة ليس بحرام ولكنه يكره لغير حاجة » اه

ونقل عن السادة الحنابلة ان ستر وجه المرأة ويديها ليس واجبا . ويروى عن القاضي عياض الاجماع على أن المرأة لا يلزمها في طريقها ستر وجهها وانما هو سنة وعلى الرجال غض البصر عنها لقوله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم »

« وقال في شرح مختصر سيدي خليل عند قوله « ومع أجنبي غير الوجه والكفين » ما يأتي: يجوز للاجنبي المسلم ان ينظر الى وجه المرأة وكفيها من غير عذر ولو شابة الا لخوف فتنة أو قصد لذة وهل يجب عليها حينئذ ستر وجهها أو لا يجب عليها ذلك ؟ خلاف بين ابن مرزوق وعياض وفصل الشيخ زروق في شرح الوغليسية بين الجميلة فيجب عليها وغيرها فيستحب اه

« وقال المحقق سيدي محمد الخرشي في سراجه على المختصر المذكور ما نصه : قال مالك « تأكل المرأة مع غير ذي محرم ومع غلامها وقد تأكل مع زوجها وغيره ممن يؤاكله » (قال) ابن القطان : فيه (اي في قول مالك) إباحة إبداء المرأة وجهها ويديها للاجنبي اذ لا يتصور الأكل الا هكذا اه

« وقال الفاضل عبد الحميد أفندي الجابري في مبدائه ما نصه : ليس في الأمر الشرعي أو فيما اعتاده المسلمون ما يمنع النساء عن مخالطة بعض الرجال الاجانب عنهن بقدر الحاجة لغرض صحيح ومنفعة حقيقية كالتماس حرفة أو تجارة تلائم حالهن أو تسد مما ضرورتهن أو تعلم علم يحدون ان يتحرجن لم تزينهن او يقعدن معهم مقعد اللهو والطرب — الى ان قال — قد تكون المرأة لا معيل لها من الرجال فتضطر لأن تقوم بأود نفسها ويكون من مقتضيات كسبها مخالطة الرجال او حضور بعض مجامعهم فمن كانت كذلك فهي لا تمنع عن تلك المخالطة ولا تعاب في عادة المسلمين عليها بقدر الحاجة للاكتساب لا سيما اذا لم تكن شابة حسناء فانها يعطى لها في ذلك تمام الحرية اه

« ثم الخلوة بالأجنبية حرام أو مكروه . قال صاحب الدر المختار : وفي

الاشباه الخلوة بالأجنبية حرام الا لملازمة مديونه هربت ودخلت خربة او كانت عجوزا شوهاء او بحائل اه

«ونقل محشيه ابن عابدين عن القنية ان الخلوة بالاجنبية مكروهة كراهة تحريم · وعن ابي يوسف ليست بتحريم — الى أن قال — ان الخلوة المحرمة تنتفي بالحائل وبوجود محرم او امرأة ثقة قادرة وهل تنتفي أيضاً بوجود رجل آخر أجنبي ؟ لم أره اه قلت ذكر بعض المالكية انها تنتفي بذلك »

ثم قال المؤلف بعد هذه النقول :

« وكل من اطلع على الكتب التاريخية يعلم ان التبرقع ليس من مخترعات الاسلام (يعني أهله) فقد كانت نساء اليونان يستعملن التبرقع اذا خرجن من بيوتهن كما هو الآن عند المسلمات وعند غيرهن من النساء الشرقيات في الشام ومصر · ولا يخفى ان نساء قبائل البربر و[illegible] عرب البادية لا يسترن وجوهن عن الاجانب ومع ذلك [illegible] دائرة الدين الاسلامي

وقال بعض [illegible] على أصل الشرع الى فساد صحة المرأة [illegible] بالزامها القعود في مسكنها دائما تحرم من منافع الهواء والشمس وسائر انواع الرياضة الجسمية والعقلية ولذلك كان معظم نساء المدن عليلا ضعيفاً ومتى ولدت إحداهن مرة تضعضعت بنيتها وبدت كأنها عجوز وهي في ريعان الشباب ولا يمكن ان تنتج أبناء أقوياء تقوم بتربيتهم كما ينبغي اذا كانت مضطرة الى البطالة ممنوعة من جميع الحركات المفيدة في نموها بدنا وحسى بخلاف نساء البوادي فإنهن لما كن يتعاطين الاعمال الشاقة من الاحتطاب والسقي وتنقية المزارع والحصاد وجمع الزيتون وما أشبه ذلك صرن في الغالب أصح أجساداً وأصفى لونا من المدنيات

« ولم يتشدد في الاحتجاب الا السادة الشافعية وافق غيرهم من المتأخرين بقولهم وعللوا ذلك بفساد الزمان ولذلك قال عدة من متأخري الفقهاء الحنفية : حل النظر الى وجه المرأة مقيد بعدم الشهوة و لا تحرم وهذا في زمانهم واما في زماننا فمنع النظر الى وجه الشابة ولو من غير شهوة لا لأنه عورة بل لخوف الفتنة»

(المنار) ان جمهور الشافعية القدماء على ان النظر الى الوجه والكفين غير محرم لأنه ليس بعورة اتفاقا قال الرملي في نهايته في هذا القول الذي ضعفه النووي «ونسبه الامام للجمهور والشيخان للاكثرين وقال في المهمات أنه الصواب» واستدل لتصحيح النووي التحريم باتفاق المسلمين على منع النساء ان يخرجن سافرات وبعلة الفتنة . وما ادعوه من الاتفاق غير صحيح وإنما هو من فعل الامراء في المدن خاصة ولا حجة فيه فيبقى مظنة الفتنة وقد أفتى بعض الشافعية بحرمة النظر الى وجه الأمرد لهذه العلة وهو ما صححه النووي في المنهاج وكل ذلك اجتهاد من المتأخرين وقد خالف كثير من الفقهاء المتأخرين أقوال من قبلهم بعلة فساد الزمان ولعلهم لا يعرفون حقيقة الفرق بين زمانهم وزمان أولئك السابقين فقد عهدنا أهل كل زمان يذمون زمانهم . والمؤلف لم يحفل بهذا الاجتهاد فقد قال بعد ما تقدم «والحاصل أنه يحرم على الرجل نظره الى حرة أجنبية مشتهاة ما عدا الوجه والكفين» ثم بين وجه هذا الاستثناء تبيينا وقد سلك نحو هذا المسلك في النقل والاختيار في سائر المسائل التي تعلقت الأحكام بها فنحمد الله على وجود مثله في تلك البلاد

(بلوغ الارب . في مآثر الشيخ الذهب)

كتاب في جزئين للشيخ أحمد جمال الدين التونسي أحد مدرسي الطبقة العليا في جامع الزيتونة بتونس . والشيخ الذهب شيخه في الطريق . والكتاب محشو بالخرافات والدجل فيسوءنا ويحزننا والله ان يكون منسوبا الى احد مدرسي الطبقة العليا في تلك المدرسة الدينية التي تلي الازهر في الشهرة وان نرى عليه تقاريظ اشهر علماء تلك البلاد ومنهم من عجله عن تقرير الخرافات والثناء على كتاب هي فيه وعلى مؤلفه ويغلب على ظننا ان من علماء الاسلام في تونس من يقرظ الكتاب من غير ان يطلع عليه اطلاعا يكفي للحكم عليه اكتفاء ببيان مؤلفه لموضوعه وعملا بحسن الظن فيه كما هو شأن أكثرهم في مصر وسوريا كما نعلم بالاختبار وقد رأيت تقريظا للشيخ محمد

الانبابي شيخ الأزهر الشهير في زمنه على كتاب لبعض الرفاعية كله طعن قبيح في الشيخ عبد القادر الجيلي وفي طريقته وأهلها وفيه من الجهل بالدين والتصوف العجب العجاب وهذا الكتاب هو الذي حملني على تأليف كتاب (الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية) وانا يومئذ في حجر الاشتغال والتحصيل . فهذا ما نعتذر به عن تقاريظ من نجل من أولئك العلماء

وليست الخرافات هي كل ما ينتقد في هذا الكتاب بل نجد عبارته عامية الاسلوب كثيرة اللحن والغلط وفيه من تحريف آي القرآن العزيز عن مواضعها مالا يصدر من عالم . واني انقل نموذجا منه ليعتبر بعبارته ومعانيه وعقل مؤلفه المعتبرون.

جاء في ص ٣٩ وما بعدها من الجزء الاول ما نصه :

(لطيفة) كان ورد على الحاضرة (اي تونس) عالم جليل بصير يقول ان أصله مغربي شريف أثناء مدة الامير الصادق باي وأنزلوه ملوة البقر السكانين؟ بدوبة غربال وهو في ابهة وتقدمة له [illegible] وهو في فصاحة الكلام وبلاغته آية من آيات الله يحفظ [illegible] متفنن حضرته ؟ يتكلم في علم الكلام والتصوف بكلام عجيب

« ووافق اني كنت عنده يوما فجاء المرحوم الشيخ محمد السنوسي الاديب فقال له الشيخ اين الوعد فقال له في محلي فقال ماقيدت نفسي بمحلك ثم التفت اليّ الشيخ وقال احكم بيننا فقلت له ماعرفت الموضع فقال قرر له الموضع فقال الشيخ السنوسي اني كنت عند السيد قسم زكرة وطبلا فقال لي هذا سماع بلادكم قلت هذا سماع البوادي وسماع بلادنا منسمه في محلي فقلت الشيخ أورضيتم أن أحكم بينكما قال نعم قلت ياشيخ السنوسي ؟ يلزمك أن توفي الوعد ؟ في محل السيد لا في محلك فضحك متعجبا من هذه المعاملة المنافية للحكم في ظنه فقلت له ياهذا ان هؤلاء اذا سمعوا السماع ؟ ربما صاحوا وربما مزقوا ثيابهم وربما طاروا في الهواء ولا يصلح بهم ؟ ان يحضروا معهم من لايكون على حالهم لاسيما النساء ودارك مملوءة بالاجانب منهم فضرب السيد الكف على الكف وقال صوفي ورب الكعبة فقلت له ٠امين يارب العالمين ؟

«ثم حكى لنا اعجوبة في السماع حضرها عند ملك المسلمين في ذلك التاريخ الكائنين في الصين وأصلهم من الاربعة آلاف الذين أرسلهم أبو جعفر المنصور العباسي بطلب من سلطان الصين فنصروه على القائمين عليه ثم خيرهم بين الاقامة في الاكرام التام أو الرجوع ؟ فاختاروا الاول قال نزلت عنده ضيفا فاكرم نزلي ثم جاءني يوما وقال لي يا ابن بنت رسول الله هل لك شيء ترغبه ولم اوفيك به ؟ قال فقلت له لقد نزلت عند ملوك المسلمين والنصارى وما أكرمني أحد مثلك ولكن بقي عليك شيء واحد وهو السماع فقام على قدميه وقال الامان يارسول الله وغدا تستعمله ؟ ثم أرسل لي ؟ ولما جئت وجدت مجلسا محتفلا بالعلماء والوزراء وهو بينهم فاجلسني بازائه وامامهم نصف دائرة من الكراسي ثم اذن على الجواري فخرجن من تحت الستور واحدة بيدها عود وبيد الاخرى ؟ مزمار وبيد الاخرى طار الخ وجلسن على تلك الكراسي قال ثم التفت الي وقال لي السماع تقدم العربي أو الصيني فقلت الاول مراعاة ؟ لنبيه عليه السلام فغنين وتغنين بالحان ؟ تسري مسرى بنات الحان ؟ وأصوات [illegible] ولما راق ؟ السماع وسرى في الارواح سريان الراح [illegible] جارية منهن بيتين بديعتين ؟ واجادت في انشادهما قال فما راعنا الا واحد من العلماء صاح وصعق ورمى بنفسه على الجارية فقبلها وسقط مغشيا عليه فاشتد غضب الملك عليه وامر بالجواري ان يدخلن تحت الستور وقال اني أريد ان اقتله قال فقلت له لا يحل دمه بصغيرة ثم هو الآن في حال الدهش ولا اختيار له ثم دخل الملك محلا آخر ولبس لباسا رسميا وخرج فوقف الوزراء الموقف الرسمي واعاد الكلام عازما على قتل الرجل وانا الاطفه بعدم الجواز فافاق الرجل انتبه من الدهشة وقال ماهذه الضوضاء؟ قال له اني أريد ان أقتلك لانك تجاسرت علي في مجلسي وقبلت جاريتي فقال مافعلت ذلك شهوة في جاريتك وانما براعة الكلام ورقة معانيه ذكرتني كل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم قال اللهم اقبض روح نبية وهي هذه الجارية فسمع البكاء من وراء الستار واخبروا أن الجارية قد ماتت فاعتذل الملك عند ذلك وزوج ثم قال له ذلك العالم اريد قتلي وانت لك ماينيف على كذا وكذا سنة

في بركة دعائي وأقسم له انه ما بقي براه وسترى ما يحل بك سيدي ثم فقد العالم من المجلس فسقط في يد الملك وعلم أنه هلك ومزق ملكه قال فتركته في حالة يرثى لها وغير بعيد حل به ما حل وهكذا سمعت منه وهو حاصل المعنى اهـ

(المنار) نقلنا هذه الخرافة بنصها واشرنا الى بعض مواضع الانتقاد اللفظي فيها بعلامة لاستفهام «؟» وكثير من الدجالين ينسبون الى البلاد المجهولة عند من يحدثونهم كما فعل ذلك الشيخ المغربي بحكايته المؤلف ولا يخطر في بال أحد منهما ان حال بلاد الصين معروفة لغيرهما وليس فيه ملوك مسلمون ولاجوار عربيات اما المفاسد والضلالات الدينية في هذه الخرافة فلا حاجة الى شرحها فما زال هؤلاء المضلون يمثلون اولياء الله العامة بأنهم يتهجمون على المحرمات ويتصرفون فيمن ينكر عليهم بالايذاء !! فالمؤلف الذي ينشر هذا الدجل والتضليل جدير بأن يطعن في شيخ الاسلام ابن تيمية وأمثاله من الائمة حفاظ الكتاب والسنة

اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة

كتاب في تراجم [illegible] الشيخ محمد البشير ظافر الازهري صدر الجزء الاول منه مطبوعاً على ورق حسن وقد جعله ذيلا لكتاب (نيل الابتهاج • بالتذييل على الديباج) للشيخ احمد بابا التنبكتي نزيل مراكش المتوفى سنة ١٠٣٦ المطبوع بفاس •

قال الشيخ محمد البشير « اذكر فيه من أغفلهم من اهل القرن التاسع والعاشر ذاكراً من أتى بعده الى زمننا هذا » وليته جعله رأساً او جديداً كاملا ولم يجعله ذيلا فان أهل هذه البلاد قلما يطلعون على كتاب طبع في فاس ومن يطلع عليه لا يقرأه لأنه يكون غالباً بخط مغربي قبيح لانهم يطبعون في مطابع الحجر - وقد تعب البشير في جمع تراجم من ذكرهم وراجع في ذلك كثيراً من الكتب فنحمد له هذه الهمة ونحث القراء على اقتناء كتابه تنشيطاً له على إكماله وتأليف غيره - وثمن النسخة منه عشرة قروش واجرة البريد قرشان وهو يطلب من مكتبة المنار وغيرها من المكاتب المشهورة

شيء من سيرة حسن باشا عبد الرزاق

(علمه وأدبه) نبت حسن باشا في بيت كريم وجاور في الازهر تسع سنين تلقى فيها من فنون العربية وعلوم الشريعة ما رأى نفسه غير محتاج الى تلقي غيره فيه ، وهكذا شأن النابغين تكون مدة تعليمهم قصيرة في الغالب وكم من طالب أقام في الازهر عشرات السنين ولم يستفد منه ما يطمعه في شهادة العالمية . وكان من شيوخه الشيخ نصر الهوريني اللغوي الاديب الشهير ولعله هو الذي رغبه في الادبيات فكان يحفظ كثيرا من مختار الشعر ويورد في حديثه الشواهد والامثال منها فيضعها في مواضعها وكان لنا معه محاضرات أدبية يسمعنا فيها أكثر مما يسمع منا . وقد نظم الشعر كثيرا ولكنه لم يبذله [illegible] ٠

أما علمه بأصول الدين وأحكام الحلال والحرام فقد ظهر أثره في جميع أدوار حياته فلم تعبث بعقيدته الشبهات [illegible] المترفين المسرفين من الحكام مع الشباب [illegible] الافتتان . واما علمه بالفقه فقد ظهر أثره في مجلس الشورى اذ هو الذي أعانه على فهم القوانين ودقة النظر في انتقادها على كونه لم يتلق علم الحقوق بالدراسة

(مزيته في أمته ، بسياسة أسرته) لهذا الرجل مزية في بلاده لا يفضله فيها أحد قط فيما أعلم ، مزية لو تبعه فيها أصحاب البيوتات لنال البلاد بهم ما يتمنى لها محبوها من الارتقاء في أقرب وقت ، مزية يمكن شرحها في مصنف خاص ولا يسعنا هنا الا الاكتفاء بالاشارة اليها بعبارة وجيزة

من المتفق عليه بين العقلاء ان لحياة الامة وارتقائها مبدأ وغاية فالمبدأ هو التربية الحسنة في البيوت والتعليم النافع للافراد وغايتها اتحاد من أوتوا المبدأ على العمل لرقيها المادي والمعنوي . فنحن نرى العقلاء يشكون من اهمال التربية الحسنة في البلاد ومن فقد الاتحاد بين المتعلمين حتى كأن المتعلمين في الازهر امة والمتعلمين في دار العلوم أمة والمتعلمين في سائر المدارس أمة — وكل أمة من هذه الامم بعيدة عن الاخرى في

اخلاقها وافكارها ولا أزيد على ذلك هنا . فكيف ربى هذا الرجل الحكيم أولاده ؟

علم ابناءه حسنا وحسينا ومحمودا علم الحقوق وجعل الاول محاميا أهليا ومدرسا بمدرسة البوليس وألزم الثاني بعد أن قبل محاميا في المحاكم المختلطة بأن يكون عمدة في بلده (أبو جرج) ولولا حسن التربية الادبية الدينية لما ترك الاقامة في العاصمة مع أقرانه في العلم ورضي بأن يكون عمدة يجلس مع الفلاحين طاعة لأبيه . وجعل محمودا في الادارة فكان معاونا في قسم الازبكية ثم رقي فصار مأمور الضبط في الفيوم

وجعل ابنيه مصطفى وعليا مجاورين في الازهر ولعله لا يوجد فيه من أولاد الباشوات الاغنياء غيرهما لان كبراءنا يعدون المجاورة في الازهر ضعة وضياعا . وهما الآن في ذروة المجاورين تحصيلا ويمتازان بالادب العالي وحسن الانشاء وللشيخ مصطفى من المنظوم والمنثور ما يجعله في بداءة مراتب المجيدين في بيانهم .

وجعل ابنه ابراهيم في مدرسة الزراعة وابنه اسماعيل في مدرسة الناصرية وهو صغيرهم الذي لا يزال في حجر التعليم الابتدائي فلا أدري أين كان يريد أن يوجهه بعد ذلك [illegible]

وقد علم من هذا أنه كان يريد أن يجعل كل واحد من أولاده السبعة في أفق من آفاق أعمال البلاد ليكونوا قدوة يهتدى بهم في صدق الخدمة مع المحافظة على مقومات الامة الدينية والاجتماعية ودعاة الوحدة وحسن التفاهم بين جميع طبقاتها المختلفة في التربية والتعليم فيكونوا بذلك كالكواكب السبعة السيارة كل يدور في فلكه مع حفظ النسبة بينه وبين غيره بالجاذبية العامة

أما الجاذبية العامة بين هؤلاء فهي التربية التي كان يمدهم بها كبيرهم الذي كان منهم بمنزلة الشمس من كواكب السماء بجمعه بين الزي المصري من الجبة والقباء والعمامة ورتبة الباشوية ، وبين إقامة شعائر الاسلام والآراء العصرية ، والمستحسن من مظاهر المدنية ، والقيام بالخدمة القانونية والسياسية ، فما كان أروع تلك المائدة التي يستدير معه حولها حملة العمامة والطربوش ، الذين صار بين امثالهم من العدق [illegible] مصر ما هو معروف

بل كان ولا يزال ــ ولن يزال ان شاء الله ــ في ذلك البيت اجتماع اروع وأبدع وهو الاجتماع الاسبوعي في كل ليلة جمعة لالقاء الخطب الاجتماعية والادبية ،

والمذاكرات العلمية والدينية ، وهذا الاجتماع عام لكل من يحضره من أسرة عبد الرزاق فالمرحوم كان مربيا لاخوته وولدهم أيضاً . فاي تربية يرجو البلاد أفضل من هذه التربية؟ وما قولكم في أمة تتألف من مثل هذا البيت أو يكثر أمثاله فيها ؟

(خدمته للامة) أما خدمة الرجل لامته في مجلس الشياخات بمديرية المنيا ، وفي شورى القوانين نائبا عنها مدة ثماني عشرة سنة ثم في شركة الجريدة وحزب الامة فهو معروف مشهور . فقد كان عضوا عاملا ومثالا صالحا في فهمه ودقته واستقلاله وحريته ، كما كان قدوة في صلاحه واستقامته ، تغمده الله بمغفرته ورحمته ، آمين

(مصائب الامة الاسلامية بفقد رجالها)

وفاة ذكاء الملك

ما نعت الامة الاسلامية [illegible] من قبل دفن النواب محسن الملك المصلح العظيم في الهند ولا [illegible] وكذلك ذكاء الملك العالم الاجتماعي والكاتب البليغ وداعية الاصلاح [illegible] وصاحب جريدة (تربيت) الفارسية التي كانت تصدر في طهران عاصمة الفرس - وافاه الأجل المحتوم في رمضان وتأخر نعيه عنا وسنترجمه في الجزء الآتي أو ما بعده - وقد علم القراء ان حسن باشا عاصم توفي على أثره في أول شوال وتلاه حسن باشا عبد الرزاق وكلاهما من رجال الاصلاح وأركان النهضة في مصر

ابراهيم بك اللقاني

ما زلنا بعد ذلك نتمثل بقول الشاعر « تكسرت النصال على النصال » أياما واذا بالمنية قد أقصدت بسهم آخر نابغة النابغين وأفصح الخطباء وابلغ المنشئين العالم القانوني صديقنا ابراهيم بك اللقاني المحامي الشهير وهو أرقى تلاميذ السيد جمال الدين بعد الاستاذ الامام . وكان له في تلك النهضة الحالية المقالات الرائعة ، والخطب النافعة ، ولكن الاعراض حالت بين الامة وبين مساعدته لها بالاصلاح في هذه السنين حتى وافاه الاجل المحتوم فكان أكبر عزاء أهل العلم والادب عنه أنه كان من تبريح مرض

السل به لا راحة له في الحياة ولا نفع للأمة منه ولا أنس للاصدقاء به . وسنذكر شيئا من ترجمته في جزء آخر

الشيخ علي حسين

ثم لم نلبث بعد دفن هذا الصديق الكريم الا أياما حتى بغتنا بوفاة صديقنا الشيخ علي حسين أحد مساعدي التفتيش في نظارة المعارف بعد إلمام مرض السل (الذي اغتال القاني قبله) به زمناً قصيراً فما لم وهو في شرخ الشباب ومقتبل العمر . تخرج في مدرسة دار العلوم واشتغل بالتعليم في المدارس زمنا ثم بتفتيش الكتاتيب في الأرياف ثم في العاصمة . وكان من حزب الاصلاح الديني الاجتماعي ثابتاً في رأيه بصيراً في أمره هادئا ساكنا في عامة أحواله كثير البحث في الأمور العامة والتتبع للحوادث السياسية فلو سألته عن حوادث حرب الدولة العلية واليونان أو حرب روسيا واليابان [illegible] وكذلك آراء وميول الجرائد والدول فيها [illegible] صادق الود دقيق النقد الا انه [illegible] التقد منه هذا وأكثر عذله عليه . ولا ريب انه هو الذي أعد المرض الذي اغتاله واذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه

عني أخوه الكبير (لأمه) الشيخ محمد المهدي المدرس بمدرسة القضاء الشرعي بتمريضه ولا عناية الوالد الرحيم بالولد البار النجيب وبذل من وقته وماله في خدمته مالم يقصد به الا الاجر وحسن الذكر دون ما كان يحرص عليه من صحته وعافيته فتوفاه الله تعالى في بيته فجهزه الجهاز الشرعي وبعد تشييعه ودفنه أوعز الى بعض الجرائد فنشرت عنه أنه لا يقيم الاحتفال المعتاد المعروف بالمأتم لأنه ليس من السنة وانما هو من العادات التي أوهمت بعض الجرائد العامة ان القيام بها ثلاث ليال من السنة فرأى الشيخ المهدي موت أخيه فرصة يعلم الناس بها قولا وعملا ان ذلك ليس من السنة في شيء . والعمل أبلغ من القول ومنه الكف وترك القادر . وقد توهم بعض الناس بذلك انه لا يقبل تعزية الناس ويعدها بدعة وهو توهم باطل فقد عزيناه في داره ، فلا زال مؤيدا للسنة في أقواله وأفعاله